شرح "كشف الشبهات"

الدرس الأول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ أما بعد...

فاليوم معنا كتاب جديد من كتب العلم؛ وهو كتاب "كشف الشبهات"، هذا الكتاب من الكتب المقررة عندنا في معهد الدين القيم، ونحن الآن في المستوى الرابع، وأنهينا بفضل الله تبارك وتعالى ومَنِّهِ وكرمه علينا ثلاثة مستويات، وكان مقرراً في هذه المستويات في مادة التوحيد كتاب: "الأصول الثلاثة" و"القواعد الأربعة" وكتاب "التوحيد"، والخاتمة هو هذا الكتاب الذي معنا وهو كتاب "كشف الشبهات"، وهو آخر كتاب في هذه المادة خاصة؛ وهي مادة التوحيد؛ فلذلك إن شاء الله سيكون شرحنا لهذا الكتاب مبنياً على ما درستم سابقاً من مواد، وهذا يعني أنني عندما أمرّ في هذا الكتاب على: (بسم الله الرحمن الرحيم)، (اعلم رحمك الله) ..الخ"؛ مثل هذه الكلمات لن أقف عندها ولن أُفسِّرها؛ لأنها كانت قد فُسِّرَت وشُرِحَت في الكتب الماضية؛ هذا معنى أن يكون شرحي لهذا الكتاب مبنياً على الشروح الماضية؛ وهذه الطريقة هي المتّبعة عندنا في المعهد، وأصلاً لا يُسمح لأيّ أحد أن ينتقل إلى الكتاب الذي يلي الكتاب السابق إلا أن يكون قد أنهى الكتاب السابق؛ يعني ما وصل أحد منكم الآن إلى هذا الكتاب وهو "كشف الشبهات"، ويسمع هذا الكلام إلا وقد أنهى "الأصول الثلاثة"، و"القواعد الأربعة"، وكتاب "التوحيد"؛ لذلك بنيتُ شرحي هذا على ما تَقدَّم، فهناك فرق بين أن أشرح الكتاب استقلالاً- بدايةً-، وبين أن أشرحه مُتمماً لغيره من الكتب، فطريقة شرحي في هذا الكتاب ستكون بناءً على ما ذكرتُ لكم، بناءً على أنّ

الطالب قد درس الكتب السابقة الذكر وأنهاها وامتحَن فيها ونجح في المستويات الثلاثة، والآن انتقل إلى هذا المستوى؛ وهو المستوى الرابع.

وأنا أنصحكم بدايةً وقبل أن أبدأ بهذا الكتاب: بأنْ لا تهملوا ما سبق من كتب؛ راجعوها كل مدة، ولا تهملوها تماماً؛ حتى لا تُضيّع جهدك الذي بذلتَه في دراسة هذه الكتب، لا يوجد كتاب يغني عن الكتاب الآخر تماماً؛ فيوجد فوائد في بعض الكتب لا تجدها في الكتب الأخرى، حتى "الأصول الثلاثة"- والذي هو أول كتاب في هذه المادة معنا هنا في معهد الدين القيم-؛ تجد فيه بعض المباحث لا تمر معك في كتاب "التوحيد" ولا "كشف الشبهات" ولا حتى في "القواعد الأربعة"، وإن كانت المادة واحدة بالجملة؛ لكن يوجد بعض التفاصيل مثلاً لا تجدها في غير "القواعد الأربعة"، لا في كتاب "التوحيد" ولا في "كشف الشبهات"؛ لذلك ينبغي على طالب العلم أن يبقى دائماً في حالة تواصل مع تلك الكتب؛ هذا بدايةً.

فاليوم هو الدرس الأول من دروس شرح "كشف الشبهات".

الكشف في اللغة: هو الإظهار والإزالة، وكشَفَ الشيءَ وكشَفَ عنه: رفَع عنه ما يواريه ويغطيه، وكشَفَ الأمر: أظهَره؛ هذا من حيث اللغة.

والشبهات: جمع شبهة.

والشبهة: الالتباس والاختلاط والإشكال، فاشتبَه الأمر؛ إذا التبَس واختلَطَ وأشكَلَ.

والشبهةُ هنا؛ ما يلتبس بالحق، شيءٌ يلتبس عليك لا تعرف أهو حق أم باطل، يلتبس بالحق ويصير غامضاً.

فكشفُ الشبهات؛ يعني: إزالة الباطل الذي يلتبس بالحق لرفْع اللبس وبيان الحقيقة؛ هذا المقصود مِن كشْف الشبهات؛ وهذا المراد من هذا الكتاب.

المؤلف رحمه الله: الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، توفي في السنة السادسة بعد الألف والمائتين (١٢٠٦)، وكان رحمه الله على رأس السنة، مُجَدِّداً بعد أن انتشر الشِّرك في البلاد وبين العباد لأسبابٍ عِدّة، تعلَّم وعرف الحق من الباطل؛ فحارب الباطل بالعلم وبالسيف حتى فتح اللهُ عليه، وأزال معالم الشِّرك وحطم الأوثان، ونصره الله سبحانه وتعالى على عدوِّه، فكان مُجَدِّداً لدعوة التوحيد، وهو لم يأت بدين جديد، ولم يُكَوِّن فرقة مستقلة وطريقة مبتدَعة.

من أين تعرف هذا؟

بمقارنة ما قرَّرَه في كتبه بمنهج السلف؛ هذا هو الميزان عندنا، الميزان عندنا بارك الله فيكم هو منهج السلف؛ نَزِنُ به الأقوال، ونَزِنُ به الأشخاص، ونَزِنُ به الجماعات، فإذا قال شخصٌ قولاً؛ نأخذ هذا القول ونضعه في ميزان السلف رضي الله عنهم، وننظر هل يتوافق مع ما كان عندهم ديناً أم لا؟ فإنْ وافَق ما عندهم؛ فهو حق، وإن خالَف؛ فهو باطل؛ بغضّ النظر عن القائل، نأخذ القول ونحكم عليه بناءً على ما عند السلف.

والشخص نفسه أيضاً من خلال عقيدته ومنهجه نعرضه على السلف رضي الله عنهم، فإنْ وافَقَهم في عقيدته ومنهجه؛ فهو صاحب سنة، وإنْ خالَف؛ فهو صاحب بدعة.

والفِرَق والطوائف والجماعات كذلك، إنْ جاءت بأصل جديد مخالِف لِما كان عليه السلف رضي الله عنهم؛ فهي فِرقة ضالّة، وإنْ كان ما عندهم هو نفسه المقرَّر عند السلف رضي الله عنهم عقيدة ومنهجاً؛ فهؤلاء أهل سنة، سمّاهم أعداؤهم ما سمّوهم؛ لا يهم؛ لأن الميزان عندنا هو الذي ذَكَرْنا، فبما أنهم نجحوا في الميزان؛ فهم أصحاب الحق، وإذا فشلوا؛ فهم أصحاب الباطل؛ هكذا نحكم على الأشخاص والأقوال والجماعات، الميزان: قال الله قال رسول الله ﷺ والمنهج الذي كان عليه أصحاب النبي ﷺ وأئمة السلف من أصحاب

القرون الثلاثة الأُوَل من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين؛ فقط هذا هو الميزان، ليس صعباً، هو سهل جداً.

ما الذي تحتاجه؟

العِلم؛ تحتاج العلم حتى تستطيع أن تصل إلى الكتب التي قُرِّر فيها منهج السلف عقيدة ومنهجاً، تَعَلَّم، والكتب بين يديك؛ واحكم، سهلة ولا صعوبة في هذا أبداً، إنْ أردتَ أن تسلك الحق؛ فهذه سبيله، وهذه طرقه، وهي سهلة جداً.

يأتي شخص ويقول لك: وهابي، دعوة وهابية، دعوة كذا وكذا؛ لا يهمك ولا تأخذك هيبة القول، ولا هيبة التسمية- أيّاً كانت إلى حقٍّ أو إلى باطل-؛ لا؛ التسمية لا تُقدِّم ولا تؤخِّر، ارجع إلى أقوال وعقائد الأشخاص واعرِضها على ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ تستبين لك الأمور وتستنير، ولا تتعصب لأحد؛ لأن هذا الذي ستتعصب له؛ لن ينفعك يوم القيامة؛ سيتبرأ منك؛ إنما الذي ينفعك هو أن تجتهد في الوصول إلى ما يحبه الله ويرضاه فقط، وبهذه الطريقة تعرف الطريق الحق الذي رسمه لك نبيك ﷺ، الطريق المستقيم لمّا خطّ خطاً مستقيماً وخطّ على جانبيه خطوطاً وقال هذا صراط الله، هو الصراط الذي سلكه الصحابة فوصلوا إلى مرضاة الله {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}(١) فقط أمر سهل وليس فيه صعوبة، والدين ليس فيه صعوبة والحمد لله، مُيسّر سهل، وما مات النبي ﷺ إلا وتركَنا على البيضاء ليلها كنهارها واضحة صريحة؛ فقط تَعلَّم، تَعلَّم كي تعرف أهل الحق الذين يدعونك إلى الحق، وأهل الباطل الذين يدعونك إلى الباطل؛ الذين يخدعونك ويُلَبِّسون عليك أمر دينك ويستغلونك، وتعرف أهل الحق النَّصَحة

١- [التوبة: ١٠٠]

الذين يريدون أن ينصحوك، وأن يُبيِّنوا لك طريق الحق من طرق الضلال حتى تتَّبع الحق وتحذر من الباطل.

هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمّا حارب الشرك والمشركين؛ قامت عليه الدنيا في ذلك الوقت؛ لأن الشرك كان قد عمَّ وطمَّ، ونحن علمنا أنّ الله سبحانه وتعالى يبعث مجدِّداً على رأس كل مائة سنة يجدد للناس أمر دينها.

ما معنى: يجدد للناس أمر دينها؟

لأن الدين قد أفسده الناس وصار عندهم ديناً مهترئاً مُرَقَّعاً مختلِطاً بحق وباطل؛ فيأتِ هذا المجدد فيُجَدد لهم أمر الدين فيُظهر لهم الأمور ويوضح لهم الصراط المستقيم ويُبيّن الحق من الباطل ويفصل كل شيء؛ وهذا الذي فعَله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل التوحيد والشرك؛ فأمَرَهم باتّباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعبادة الله وحده وترْك عبادة ما سواه، وبيّن لهم ذلك بالأدلة والبراهين والحجج؛ ما قال فقط: اتبعوني وانتهى الأمر؛ لا؛ قال: قال الله، قال رسول الله ﷺ، اقرأوا كتبه؛ هذه كتبه قد درّسناها؛ "الأصول الثلاثة"، "القواعد الأربعة"، "كتاب التوحيد"، وهذا "كشف الشبهات"، اقرأوا، والله لقد قرأنا كتبه بإنصاف من غير أن نتعصب، وعرضنا كلامه على كلام السلف؛ فما وجدْنا له شيئاً يخالف فيه منهج السلف الصالح في دعوته إلى التوحيد ونبْذ الشرك، هذا الذي قاله؛ وجدناه مقرراً عند ابن جرير الطبري في تفسيره في كلام كثير جداً للطبري، نفس الكلام يذكره من هناك، كلام ابن كثير رحمه الله في تفسيره بكثرة موجود هناك، كلام المفسرين لأحاديث رسول الله ﷺ من السلف الصالح رضي الله عنهم؛ وجدناه هناك، كله موجود، ما جاء بدين جديد، لم نجد عنده ديناً جديداً.

لكن من أين أتت كلمة الوهابية؟

طبعاً هم ينسبونها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فنسبوه إلى الوهابية ويريدون بها هذه. طيب تأتي إلى الوهابية؛ ماذا تريدون بها؟

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

طيب هل هي دعوة حق أم باطل؟ هل أتى بدين جديد؟

نعرض كلامه- وهو مسطر وموجود في كتبه- نعرضه على كتاب الله وسنة رسول ﷺ ومنهج السلف الصالح- وهذا الذي فعلناه-؛ فما وجدنا الرجل قد جاء إلا بـ: قال الله قال رسول الله ﷺ قال السلف الصالح رضي الله عنهم، هذا كتاب "التوحيد" أنفس كتاب للمؤلف رحمه الله، كله هكذا، قد قرأتموه ودرستموه؛ طيب إذاً ما الذي تنكرونه عليه؟! لماذا تسمون الدعوة الوهابية دعوة مخالفة ودعوة أتت بشيء جديد؟ وتزعمون ذلك وتحذّرون الناس؟!

لما فتشنا عن الأمر تبيّن لنا أنّ الصوفية والشيعة هم وراء هذه التسمية؛ لتنفير الناس عن دعوة الشيخ رحمه الله، وبالخصوص الدولة العثمانية؛ كان لها دور كبير جداً في هذا الأمر، هذا الذي يسمونه بالحرب الإعلامية كان لهم دور في هذا الأمر، فنفّروا الناس وزعموا أنّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يحارب الأولياء ويبغضهم، وما شابه من هذا الكلام الباطل.

نحن ندين الله سبحانه وتعالى بمحبة أولياء الله، والشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه هكذا أيضاً؛ يدين الله بمحبة أولياء الله سبحانه وتعالى وتَوَلّيهم؛ لكن بشرط: أن يكون وليّاً فعلاً لله سبحانه وتعالى ومِن غير الغلُوّ فيه؛ ألاّ يُعبَد مع الله سبحانه وتعالى، النبي ﷺ حذّرَنا من عبادته نفسه مع الله سبحانه وتعالى حذّرَنا من الغُلُوّ فيه، فكيف بغيره

من الأولياء، هذا الذي حصل، لكن هم عندما أرادوا أن يغلو في الأولياء وأن يعبدوهم مع الله سبحانه وتعالى؛ رأوا أنّ مَن يخالفهم هذا عدوٌّ لهم وأنه يريد أن يستنقص الأولياء.

يستنقصهم عن ماذا؟ عن الغُلُوّ فيهم؛ هذا حقيقة ما يريدون؛ وهذا الذي ترونه أمامكم من بدعهم وضلالهم وعبادتهم لغير الله سبحانه وتعالى واضح وصريح ما يحتاج إلى كلام، هذه كتبهم موجودة- كتب التصوف- اعرضوها على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومنهج السلف الصالح؛ تجدونها في عالم ومنهج السلف الصالح في عالم آخر، هم في دين وأولئك في دين آخر؛ ما له علاقة بدين الإسلام، الدين الذي عليه الصوفية والذي عليه الشيعة؛ مشابهٌ جداً لدين اليهود والنصارى وغيرهم من عبدة الأوثان؛ فيجب الحذر من هذا؛ هكذا حَكمنا على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهكذا حَكمنا على دعوة الصوفية والشيعة؛ عرضنا ما عندهم على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، عرضناه على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ وعلى المنهج الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فهذا الذي بان معنا واتضح بشكل واضح وصريح ليس فيه أدنى شبهة أبداً، لا يشتبه، مريد الحق لا يشتبه عليه الأمر بتاتاً.

فمِن هنا بارك الله فيكم لمّا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قوية وانتشرت بين الناس ولاقت قبولاً عند أهل التوحيد؛ حاربها أعداؤه لمّا رأوا أن هذه الدعوة خطيرة على أطماعهم، خطيرة على دنياهم، يريد أن يُنَفِّر الناس عن القبور وعن عبادة القبور التي يتحصلون من ورائها على أموال ودنيا ورياسة؛ فحارَبوه، وصاروا يُظهِرون شبهات للناس وأكاذيب؛ كذبوا عليه كثيراً، وكان هو يُفَنّد هذه الأكاذيب، ويُبيّن ما الذي يقوله وما الذي لا يقوله؛ حتى لا يلتبس الأمر على مَن يريد الحق؛ فبيَّن هذا كله، فكانوا يكذبون عليه وكانوا يُثيرون الشبهات على دعوته، مِن هذه الشبهات ما ذَكَره الشيخ هنا في هذا

الكتاب وفنَّدها حتى يُبيِّن الحق ويفصله عن الباطل؛ فيحيى من حيّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

فقال رحمه الله: (بسم الله الرحمن الرحيم، اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ التَّوْحِيدِ: هُوَ إِفْرادُ اللهِ سُبْحانهُ بالعِبادَةِ)

عرفنا التوحيد؛ وهو: مِن وحَّدَ يُوَحِّد توحيداً؛ إذا جعل الشيء واحداً.

والتوحيد في الشرع: إفراد الله سبحانه وتعالى بكل ما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وقد عرفنا **معنى الربوبية؛ وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخَلق والمُلك والتدبير.**

العبودية؛ إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

الأسماء والصفات؛ إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته بأنْ نُثبت منها ما أثبت لنفسه، وننفي عنه ما نفى عن نفسه تبارك وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

هذا هو التوحيد.

وقد تقول الآن: الشيخ رحمه الله عرّف التوحيد هنا بقوله: إفراد الله سبحانه تعالى بالعبادة، ونحن عرفنا أنّ التوحيد بأقسامه الثلاث وليس قسماً واحداً، والمؤلف رحمه الله عرّف قسماً واحداً؛ فقال: إفراد الله سبحانه تعالى بالعبادة؛ فأين إفراد الله بالخَلْق والمُلك والتدبير، وأين إفراد الله سبحانه تعالى بالأسماء والصفات؟ عندنا ثلاثة أقسام، ذكر الشيخ رحمه الله قسماً واحداً؛ هذا يُشكِل.

لا؛ لا يُشكِل؛ فقد قال:

(وهو دِينُ الرُّسُلِ الذي أَرْسَلَهُم اللهُ به على عِبادِهِ)

أي: التوحيد دين الرسل الذي أرسلهم اللهُ به على عباده، فهنا يتضح الأمر: أنّ المؤلف رحمه الله حين قال: إفراد الله سبحانه تعالى بالعبادة؛ أراد مِن هذا أنّ هذا النوع خاصة هو الذي بعث الله سبحانه وتعالى به الرسل.

لماذا؟

لأن أكثر نوع من أنواع الشرك التي وقع الناس فيه هذا النوع؛ فكان الناس يعبدون غير الله سبحانه وتعالى، يعبدون الأوثان وانتشر هذا جداً في الأرض، فالخلل في توحيد الربوبية والأسماء والصفات كان عندهم أقل من هذا بكثير، فالشرك في العبادة هو الذي كان عامّاً وطامّاً؛ لذلك أرسل الله تبارك وتعالى الرسل بهذا النوع من التوحيد؛ فلذلك خصّه المؤلف بالذكر، والنبي ﷺ عندما جاء إلى قومه ماذا قال لهم؟ قال: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" أي لا معبود بحقٍّ إلا الله؛ الدعوة إلى التوحيد، مباشرة دعاهم إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة؛ لأنهم كانوا يؤمنون أنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المدبر، وفي الجملة يؤمنون بالأسماء والصفات، لكن في الألوهية، في العبادة؛ لا؛ كانوا يشركون فيعبدون مع الله غيره، فيتقربون إلى الأصنام؛ يدعونها، يتوسلون بها، ويستغيثون بها، ويستعينون بها، يذبحون لها، ينذرون لها؛ يتقربون إليها بأنواع القُرَب، فجاءهم النبي ﷺ؛ فقال: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"؛ الفلاح الدنيوي والأخروي؛ تفوزوا بما عند الله سبحانه وتعالى من خيرات دنيوية وأخروية، قال: "قولوا لا إله إلا الله"، لكن كفار قريش كانوا عرباً أقحاحاً، يعرفون معنى الكلمة لما تخرج، ففهموا ما أراد النبي ﷺ حين قال لهم: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"؛ فهموا أن معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ يعني: اتركوا عبادة غير الله سبحانه وتعالى؛ لذلك جاء في قصة هرقل: أنه لما سأل أبا سفيان؛ فقال له: (بماذا يأمرونكم؟)، فقال أبو سفيان يقول: (اعبدوا الله وحده ولا تشركوا

به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم) فقال له هرقل: (سألتك فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان)؛ ففسر هرقل قول أبي سفيان: (واتركوا ما يقول آباؤكم)؛ لأن هذا ما كان يقوله آباؤهم؛ إذن فهموا المعنى الذي أراده النبي ﷺ، فردوا عليه وقالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[1] يتعجبون كيف تجعل الآلهة- المعبودات- معبوداً واحداً؟

هذا المعنى الذي أراده المؤلف رحمه الله تعالى؛ أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة؛ يعني: هذا النوع من التوحيد خاصة هو الذي بُعِثَتْ به الرسل؛ لأن الشرك فيه كان أكبر وأعظم من غيره من الأنواع.

(وهو دين الرسل)؛ أي: هذا النوع من التوحيد هو دين الرسل، يعني الذي أُرسِلَتْ به الرسل، الذي أرسلهم الله إلى عباده.

ما الدليل على هذا؟

الدليل قول الله تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[2] لاحِظ هذه الآية؛ تفسر لك المعنى الذي جاءت الرسل به:

{ولقد بعثنا ..} في ماذا؟ {في كل أمة}؛ إذن الأمم جميعاً قد جاءتهم رسلٌ كثر، وجميع هؤلاء الرسل ماذا كانت دعوتهم؟ {أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}؛ فبيَّن لك هنا: {أن اعبدوا الله}؛ فسَّر لك ما بعثَ الله سبحانه وتعالى به الرسل؛ وهو: {أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} يعني اعبدوا الله ولا تعبدوا معه غيره؛ هذه دعوة الرسل جميعاً وبهذا أرسَلهم الله سبحانه وتعالى.

١- [ص:٥]

٢- [النحل: ٣٦]

وقال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[١]، هذا الوحي الذي يأتيهم وبهذا أرسَلَهم: {أنه لا إله إلا أنا} أي لا معبود بحق إلا أنا؛ إلا الله سبحانه وتعالى، {فاعبدون} أي: اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره؛ إذن هذه هي دعوة الرسل؛ فهل صدق الشيخ أو لم يصدق فيما قال؟

بل صدق؛ وهذه الأدلة واضحة وصريحة.

قال: **(فأولهم نوحٌ عليه السلام؛ أرسله اللهُ إلى قومه، لما غلوا في الصالحين: وداً، وسواعاً، ويغوثَ، ويَعوقَ، ونسراً)**

فنوح أول الرسل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}[٢]؛ فكان هو الأول- أول الرسل-؛ لأن الناس قبل ذلك كانوا على التوحيد، من عهد آدم عليه السلام إلى قوم نوح- قبل إرسال نوح-، وحصل الشرك في قوم نوح- في آبائهم وأجدادهم- بسبب الغلو في الصالحين، كما مر معكم في كتاب التوحيد؛ كان فيهم رجال صالحون، فلما ماتوا جاءهم الشيطان وزيَّن لهم أن يصنعوا لهم التماثيل، فصنعوا لهم التماثيل وجعلوها في ناديهم، ثم بعد ذلك لما نُسِيَ العلم -لاحظ- لما نُسي العلم؛ ظهر الجهل ولم يعد أحد من الناس يعرف التوحيد من الشرك؛ جاءهم الشيطان ولبَّس عليهم أن يعبدوا هذه الأصنام فعبدوها؛ ومن هنا بدأ الشرك في عبادة غير الله سبحانه وتعالى، فأشرَكوا مع الله غيره؛ فبعث الله الرسل، وكان نوح عليه السلام أول الرسل.

وجاء في الصحيح في قصة الشفاعة أنّ الناس يأتون إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسَلَه اللهُ إلى أهل الأرض؛ فهذا واضح وصريح أنه أول الرسل.

١- [الأنبياء: ٢٥]

٢- [النساء: ١٦٣]

ونلاحظ أن المؤلف لم يذكر هنا الأدلة؛ لأنه ذكرها في الكتب السابقة، لكن كل كلمة يذكرها هنا؛ عليها دليل بيَّنه في كتبه الأخرى.

قال: (أرسله الله إلى قومه فلما غلوا في الصالحين..)

غلوا من الغلو؛ وهو: مجاوزة الحد.

والرجال الصالحون نحبهم، نحترمهم، نواليهم، نتعاون معهم على البر والتقوى، وليس أكثر من هذا؛ ليس له حق في العبودية- أنْ نعبده وأن نتقرب إليه-؛ لا؛ هذا غلو وهو محرَّم؛ وهذا هو سبب الشرك.

قال: (لما غلوا في الصالحين ود وسواع ويغوث ونسر..)؛ هذه أسماء رجال صالحين- كما ذكرنا لكم القصة-؛ كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا صنعوا لهم التماثيل وعكفوا على تماثيلهم وعبدوها.

فأول الرسل نوح عليه السلام؛ أرسله الله إلى قومه، لما حصل هذا الغلو في الصالحين.

قال: **(وآخرُ الرُّسُلِ محمد ﷺ)**

دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[1] أي آخرهم فلا نبي بعد النبي ﷺ، وجاء في الحديث: "أنا آخر الأنبياء لا نبي بعدي".

قال: **(وهو الذي كَسَرَ صُوَرَ هؤلاءِ الصالحين)**

لأن هؤلاء الصالحين، لما بنوا لهم صوراً وتماثيل؛ بقيت هذه الصور والتماثيل في قريش حتى جاء النبي ﷺ بدعوة التوحيد، فلما فتح مكة؛ كسر هذه التماثيل في فتح مكة، وهذا

١- [الأحزاب: ٤٠]

الحديث موجود في "الصحيحين"[1]: أن النبي ﷺ دخل مكة وكسر التماثيل الموجودة فيها؛ فهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين.

قال: **(أرسَلَه الله إلى أناسٍ يَتَعَبَّدونَ وَيَحُجّونَ وَيَتَصَدَّقونَ ويذكرونَ الله كثيراً)**

أرسل الله سبحانه تعالى نبيه إلى مَن؟ إلى كفار قريش.

وماذا كان كُفْر كفار قريش؟ بماذا كفروا؟، ولماذا أرسل الله نبيه إليهم؟ هل كانوا ينكرون وجود الله؟ لا؛ كانوا يثبتون ذلك كما سيأتي في الأدلة.

هل كانوا يكفرون بالأسماء والصفات وغيرها؟ سيأتي بيان هذا؛ لأن هذا في الجملة كله ما كان عندهم فيه إشكال؛ لكن في ماذا كان شركهم؟

حتى عبادة الله سبحانه وتعالى كانوا يعبدونه؛ لكن الشرك عندهم أين؟

كان الشرك عندهم في عبادة غير الله؛ هنا جاء الشرك؛ فكانوا يعبدون الأصنام، يعبدون الأوثان مع الله سبحانه وتعالى؛ فيدعونها ويذبحون لها وينذرون لها ويستغيثون بها؛ هنا كان شركهم؛ لذلك لما جاءهم النبي ﷺ قال: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

فهنا قال المؤلف: (أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً)؛ لكن هل كانت هذه العبادات تنفعهم عند الله؟ طبعاً لا؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}[2]، فأعمالك إن وُجِد عندك الشرك؛ لا تنفعك عند

١- البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١) عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد».
وفي "الأوسط للطبراني" (٢٣٠٣) بزيادة: (فتَسَّاقطُ على وجهها).

٢- [الزمر: ٦٥]

الله سبحانه وتعالى، حتى لو تعبدتَ لله سبحانه وتعالى، وكنتَ مشركاً؛ لا ينفعك، يحبط عملك ولا ينفع، وفي حديث عائشة رضي الله عنها في "صحيح مسلم" قالت : (قلت: يا رسول الله ! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين؛ فهل ذاك نافعه؟ قال: "لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"[1])، وقال الله سبحانه وتعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}[2]، وقال: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }[3].

ومعنى قول رسول الله ﷺ: "إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"؛ أي: أنه كان لا يؤمن بالبعث فكان كافراً، ومع الكفر لا ينفع عمل عند الله سبحانه وتعالى.

قال: **(وَلكنَّهمْ يجعلونَ بَعْضَ المَخْلوقاتِ وَسائِطَ بينهم وبين الله)**

هذا هو الإشكال عند كفار قريش؛ يعني أنهم كانوا يعبدون هذه الأصنام لتُقربهم إلى الله وتكون واسطة بينهم وبين الله، فهم يُقرّون أنّ هذه الأصنام ليست بمنزلة رب العزة تبارك وتعالى، فهي أدنى؛ لكنهم يقولون نعبدها حتى تُقرِّبنا إلى الله سبحانه وتعالى زلفى، إذن هم لا يعتقدون أنهم هم الذين يخلقون ويرزقون ويدبرون؛ ولكنهم يريدون منها أن تتوسط لهم عند الله سبحانه وتعالى، ودليل ذلك: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[4]، هذا نطقوا به هم، وقالوا: {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}[5]؛ هذا الدليل، إذن هم يعبدونها لهذا.

١- أخرجه مسلم (٢١٤).
٢- [التوبة: ٥٤]
٣- [الفرقان: ٢٣]
٤- [الزمر: ٣]
٥- [يونس: ١٩]

قال: **(يقولون: نريدُ منهم التَّقرُّبَ إلى اللهِ، ونريد شفاعتهم عنده؛ مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين)**

يعني أنهم يقولون نحن نعبد هذه الأصنام كي تقربنا عند الله سبحانه وتعالى.

قال: **(فبعث الله محمداً يُجَدِّدُ لهم دينَ أبيهم إبراهيم عليه السلام)**

إبراهيم عليه السلام كان على التوحيد وكانت دعوته على التوحيد، وإسماعيل ابنه كان على التوحيد، وهؤلاء الذين كانوا في مكة من قريش؛ قبائلهم ممتدة إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام؛ لكنهم حرّفوا وغيّروا وبدلوا دين إبراهيم عليه السلام، وأدخَلوا فيه الشرك؛ فبعث الله تبارك وتعالى نبينا محمداً ﷺ كي يجدد لهم دين إبراهيم عليه السلام؛ يعني كي يدعوهم إلى التوحيد التي هي دعوة إبراهيم عليه السلام وجميع الرسل.

قال: **(ويخبرهم أنّ هذا التَّقرُّبَ والاعتقادَ؛ مَحْضُ حَقِّ اللهِ تعالى، لا يَصْلُحُ منه شيءٌ لغيرِ الله؛ لا لمَلَكٍ مُقرَّبٍ، ولا لنبيٍّ مُرْسَلٍ؛ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِما)**

هذه العبادات التي تصرفونها للأصنام لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى، لا لملَك مقرَّب ولا لنبي مرسَل فضلاً عن غيرهما؛ فأعظم المخلوقات ملَكٌ مقرَّب إلى الله سبحانه وتعالى كجبريل، ونبيٍّ مرسَل كنبينا محمد ﷺ؛ هؤلاء لا يجوز صرف العبادة لهم؛ فغيرهم من باب أولى.

الله سبحانه وتعالى كان يرسل الأنبياء والمرسلين متتابعين للناس؛ حتى يخرجوهم من الظلمات إلى النور، من الشرك إلى التوحيد دائماً؛ حتى كان آخرهم نبينا ﷺ، ولا يوجد بعد ذلك أنبياء؛ لكن المجددين من هذه الأمة علماء أفاضل، على رأس كل مائة سنة يبعث الله سبحانه وتعالى واحداً أو أكثر يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وعلى هذا الأمر إلى قيام الساعة.

وهذه الدعوة دعوة التوحيد هي أصل دعوة الجميع من الأنبياء والمرسلين ومن اتّبعَهم بإحسان.

قال: **(وإلا فهؤلاء المشركونَ يشهدونَ أنّ الله هو الخالقُ وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبِّر الأمرَ إلا هو، وأنّ جميعَ السموات ومن فيهن، والأرضينَ السبعَ ومن فيهن؛ كلهم عبيده وتحت تَصَرُّفِهِ وقَهْرِهِ)**

يعني يريد أن يقول لك هنا: أنّ هؤلاء المشركين الذين بُعِث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يُقِرّون بأنّ الله وحده هو الخالق وأنه خلق السموات والأرض.. إلخ؛ فتوحيد الربوبية كان عندهم مقرَّراً؛ وسيذكر المؤلف الأدلة.

قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}(١)، وقال:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}(٢)، والآيات في هذا المعنى كثيرة؛ وهو معنى ما ذكَره المؤلف رحمه الله.

قال رحمه الله: **(فإذا أردت الدليل على أنّ هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا؛ فاقرأ قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}(٣))**

إذن هم كانوا يقرّون بربوبية الله سبحانه وتعالى، وقد أقرّوا هنا: {فسيقولون الله}؛ {فقل أفلا تتقون} يعني أفلا تتقون الله سبحانه وتعالى؟ وبما أنكم تقرون أنه هو الذي يفعل كل

١- [الزخرف: ٩]
٢- [الزخرف: ٨٧]
٣- [يونس: ٣١]

هذا؛ فكيف تعبدون معه غيره؛ أفلا تتقون الله وتتركون عبادة الأوثان وتعبدونه وحده؛ كونه هو الذي يفعل هذه الأشياء التي ذُكِرَت؟

قال: (وقوله {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ* قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}[1])

أي ليقرأ قوله تعالى: {قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون}، يعني: أفلا تتعظون وتتركون عبادة غير الله، فتعبدونه وحده؛ كونه هو الذي له ملك الأرض وما فيها؟ {قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون}؛ إذن هم كانوا يقرّون بربوبية الله في كل هذا، {قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه} يعني: يحمي ولا يحمى عليه {إن كنت تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون}؛ أي: تُخدعون وتُصرَفون عن الحق؛ أي: كيف تُخدعون وتُصرفون عن الحق، وكيف تخيل إليكم وخُدعتم بأنه باطل.

قال: (وغير ذلك من الآيات)

أي: واقرأ غير ذلك من الآيات؛ آيات كثيرة تدل على أنّ كفار قريش كانوا يقرون بربوبية الله سبحانه وتعالى، ولم يكن شركهم من هذه الجهة؛ بل من جمة توحيد العبادة.

قال: (فإذا تَحَقَّقْتَ أنّهم مُقِرُّونَ بهذا، ولم يُدْخِلْهُمْ في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ)

١- [المؤمنون: ٨٤-٨٩]

يعني فإذا تحققتَ أنهم يقرون بهذا- يعني كفار قريش مقرون بتوحيد الربوبية- ومع ذلك لم يدخلهم هذا في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ؛ لأن التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ هو ترك عبادة الأوثان وعبادة الله وحده؛ لكن توحيدهم في الربوبية لم يجعلهم من أهل التوحيد؛ بل هم كفار مشركون، لماذا؟ لأنهم أخَلّوا بالنوع الثاني؛ هذا.

قال: (**وعرفتَ أنّ التَّوْحيدَ الذي جَحَدوه هو توحيدُ العبادةِ؛ الذي يسميه المُشْرِكونَ في زماننا: الاعتقاد**)

يعني في وقته كانوا يسمون هذا: الاعتقاد وهو توحيد العبادة وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

قال: (**كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكةَ لأجلِ صَلاحِهِمْ وقُرْبِهِمْ من الله؛ ليشفعوا له**)

يعني يدعون الله سبحانه وتعالى، لكن يدعون معه غيره مثل الملائكة؛ لأنهم صالحون وقريبون من الله سبحانه وتعالى؛ فيدعونهم كي يشفعوا لهم عند الله، فالأمر الذي نهاهم الله سبحانه وتعالى عنه فعلوه.

قال: (**أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات**)

واللات أصلاً مأخوذ من اسم لشخص كان يلتُّ السويق؛ يعني يصنع طعاماً للحُجّاج على صخرة؛ فقالوا: هذا رجل كان صالحاً؛ فعبدوه كي يشفع لهم.

قال: (**أو نبيّاً مثل عيسى، وعرفتَ أنّ رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشِّرْكِ**)

قاتَل من؟ هل قاتل كفار قريش على توحيد الربوبية؟ لا؛ إنما على توحيد الألوهية؛ على هذا الشرك؛ كانوا يعبدون الأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله زلفى؛ هذه الحقيقة لابد أن

تفهمها جيداً؛ لأن الكثير من الشبهات التي ستأتي متعلقة بهذه المقدمة التي يذكرها لك المؤلف.

قال: **(ودعاهم إلى إخلاصِ العِبادةِ لله وحده)**

أي أن يعبدوا الله وحده ولا يعبدوا معه غيره.

قال: **(كما قال تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}[1])**

وتقدم معكم أن الدعاء قسمان؛ دعاء مسألة ودعاء عبادة؛ والدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة؛ تكون لله سبحانه وتعالى.

(وقال تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ}[2] وتَحَقَّقْتَ أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاءُ كله لله)

يعني العبادة كلها؛ عبادة مسألة أو عبادة خضوع وتذلُّل له بأصناف العبادات؛ كله لله سبحانه وتعالى وحده لا لغيره، ومِن ذلك- من هذا الدعاء؛ أي: من هذه العبادات- كما جاء في الحديث "الدعاء هو العبادة" كما في الآية أيضاً؛ فتارة يطلقون الدعاء على دعاء المسألة كما هو منتشر اليوم عند الناس، وتارة يطلق الدعاء على العبادة نفسها؛ فأي عبادة تدخل في هذا الدعاء.

قال: **(والذَّبْحُ كُلُّه لله، والنذرُ كله لله، والاستغاثةُ كلها بالله)**

هذا التفصيل الذي ذكرناه سابقاً في كتاب التوحيد.

١- [الجن: ١٨]

٢- [الرعد: ١٤]

قال: **(وجميعُ أنواعِ العبادات كلها لله، وعرفت أنَّ إقْرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدْخِلْهُمْ في الإسلام، وأنَّ قَصْدَهُمُ الملائكةَ، والأنبياءَ، والأولياءَ؛ يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك؛ هو الذي أَحَلَّ دِماءَهُمْ وأَمْوالَهُمْ)**

لأنهم عبدوا مع الله غيره.

قال: **(عَرَفْتَ حينئذٍ التوحيدَ الذي دَعَتْ إليه الرُّسُلُ وأبى عَنِ الإقْرارِ به المشركون)**

إذن اتضَح لك الأمر، وعرفتَ ما معنى التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ، وما هو الشرك الذي كان عليه مشركو قريش، واتّضح لك الأمر؛ حتى لا تقع في المحذور، فالأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تُنقَضُ عرى الإسلام عروة عروة، عندما ينشأ في الإسلام نشْ لا يعرف الجاهلية)؛ ينشأ في الإسلام أناس لا يعرفون الجاهلية، لا يعرفون معنى الشرك ولا يعرفون معنى التوحيد، فيقعون في الشرك؛ لأنهم لا يعرفونه، ينقضون التوحيد؛ لأنهم لا يعرفونه، وهذا الحاصل اليوم عند كثير من الناس، لا يعرفون أنّ دعوة النبي ﷺ أول ما جاءت أصلاً جاءت لدعوة الناس إلى ترك عبادة غير الله، وإلى صرف العبادة لله وحده لا شريك له، لا يعرفون بأنّ كفار قريش كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، كانوا يعتقدون بأن الله هو الخالق هو الرازق هو المدبر، كانوا يعتقدون هذا؛ ومع ذلك كانوا كفاراً قاتلهم النبي ﷺ واستحَلَّ دماءهم، ومن مات منهم على هذا الشرك؛ فهو مُخلَّد في نار جهنم، ولم ينفعهم هذا التوحيد؛ لأن الله سبحانه لا يقبل من العبد إيماناً حتى يكون مُقرّاً بأنواع التوحيد كلها التي قررها في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ.

هذا هو المراد الآن من هذه المقدمة؛ لأن هذه المقدمة وفهم هذه الحقيقة يتوقف عليه فهم الشبهات الآتية جميعاً. والله أعلم.

شرح كشف الشبهات

الدرس الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد..

فمعنا اليوم الدرس الثاني من دروس شرح كشف الشبهات، وكنا في المجلس السابق تحدثنا عن معنى كشف الشبهات، وذكرنا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر رحمه الله في هذا الكتاب معنى التوحيد وأنه دين الرسل الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى به إلى عباده، وذكر أن أولهم نوح عليه السلام؛ أرسله الله تبارك وتعالى إلى قومه، وآخرهم الرسول محمد ﷺ، وذكر أن من دعوتهم دعوة التوحيد، معنى دعوة التوحيد التي جاء الرسل بها، وذكر أن المشركين- مشركي قريش والمشركين من الأقوام الأُخرى- غالبهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، هذا كانوا يقرون به، ولم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام، وقاتلهم النبي ﷺ كي يدخلوا في التوحيد الذي بعث اللهُ به الرسل وهو توحيد العبادة، فكان كفار قريش يقرون بتوحيد الربوبية، إذن التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ ودعا كفار قريش إليه هو توحيد العبادة، أما توحيد الربوبية؛ فكان حاصلاً عندهم ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام، وما كان يدخلهم في الإسلام إلا أن يقروا بتوحيد العبادة لأن توحيد الربوبية كان مقرَّراً عندهم، ولكنهم كانوا يعبدون الأصنام، وعبادتهم للأصنام كانت لأجل أن تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ولكي تشفع لهم، لا لأنهم يعتقدون أنها هي الخالقة الرازقة المدبرة؛ ولكن لأنهم كانوا يريدونها أن تكون وسائط لهم وتشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى.

هذا كله بيَّنه لنا المؤلف رحمه الله فذكر توحيد العبادة وبيّن ما هو، وذكر أن توحيد الربوبية هذا كان كفار قريش يقرون به ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام، وذكر سبب عبادتهم للأصنام وأنها تقربهم إلى الله زلفى وأنهم يتخذونها شفعاء عند الله سبحانه وتعالى.

والمؤلف بذكر هذه المقدمة يريد أن يصل إلى أمر مهم جداً وفيه رد على الشبهات الآتية في هذا الكتاب؛ وهو أنّ معنى التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ ودعت إليه الرسل هو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، وأنّ صرف العبادة لغير الله شرك، وأنّ توحيد الربوبية ليس هو المعنى المقصود بكلمة "لا إله إلا الله"؛ إنما المقصود بذلك أنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، لا شك أن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كلها من التوحيد المطلوب؛ لكن أعظم ما حصل فيه النزاع بين الرسل وبين المشركين هو توحيد العبادة؛ فقال رحمه الله:

(وهذا التوحيدُ هو معنى قولك: لا إله إلا الله)

أي أن التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ هو معنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود حق إلا الله سبحانه وتعالى؛ فكفار قريش الذين جاءهم النبي ﷺ كانوا يعلمون معنى هذه الكلمة؛ ولذلك لما قال لهم النبي ﷺ "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"؛ قالوا {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[1]، ما كانوا يعارضون وينازعون في أن الله هو الخالق الرازق المدبر، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}[2] ليس عندهم إشكال في هذا؛ كان الإشكال والنزاع بينهم وبين الرسول ﷺ في توحيد العبادة؛ أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويتقربون إليها كي تقربهم إلى الله زلفى، لذلك كما ذكرنا في الدرس

١- [ص: ٥]

٢- [لقمان: ٢٥]

الماضي أن أبا سفيان لما سأله هرقل عن دعوة النبي ﷺ وإلى ما يدعوهم إليه وما الذي يأمرهم به، فقال له: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم؛ هكذا قال له، وفسرها هرقل لما أعادها عليه؛ قال: سألتك عما يأمركم به؛ فقلتَ: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نترك عبادة الأوثان؛ هكذا قال له في الحديث وهو موجود في "الصحيح"[1]؛ فهذا يبيّن بوضوح- وغيره أيضاً؛ أحاديث وأدلة تبيّن- هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

قال: **(فَإِنَّ الإله عِنْدَهُمْ هُوَ الذي يُقْصَدُ لأجْلِ هذه الأُمورِ)**

الإله يعني المألوه المعبود، الإله عندهم هو الذي يُقصَد للعبادة، للخضوع، للتذلل له.

قال: **(سواءٌ كان مَلَكاً أو نبياً أو وليّاً أو شجرة أو قبراً أو جنيًّا)**

هذا كله هو المعنى المقصود عند كفار الجاهلية؛ الإله عندهم هذا الذي يُقصَد به؛ أنه الذي يُتَعبّد إليه؛ يُتعبد إليه ويُتقرب إليه بأنواع القرب أيّاً كان نوعه؛ من الملائكة أو البشر أو الحجر أو الشجر.

قال: **(لم يُريدوا أَنَّ الإله هو الخالقُ الرَّازِقُ المُدَبِّر)**

هكذا كان كفار قريش، واذا عرفت الدين الذي كان عليه كفار قريش، وعرفت ما هي دعوة النبي ﷺ التي دعاهم إليها؛ حينئذٍ تكون عرفت كيف تميز بين التوحيد والشرك، وعرفت ما هو التوحيد المقصود هنا، وكيف تحافظ عليه وتحرص عليه، وكيف تبتعد عن نواقضه التي تنقضه.

١- أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

لكن إذا لم تعرف ما هو التوحيد أو فهمته فهماً خاطئاً؛ فيمكن أن تنقضه وأنت لا تدري؛ وهذا الذي حصل من بعض الناس.

قال: **(فَإِنَّهُمْ يَعْلمونَ أَنَّ ذلكَ للهِ وَحْدَهُ؛ كما قَدَّمْتُ لكَ)**

يعني: الخلق والرزق والتدبير.

قال: **(وإِنَّما يَعْنونَ بالإِله: ما يعني المشركونَ في زماننا بلفظ: "السيّد")**

وهذا متعارف عليه عندهم؛ أنهم يطلقون السيد على الإله؛ يعني: المعبود.

قال: **(فأتاهم النبي ﷺ)** يعني أتى كفار قريش **(يَدْعوهُمْ إلى كَلِمَةِ التَّوْحيدِ؛ وهي: لا إله إلا الله)**

إذاً كفار قريش كانوا يعرفون أنه الخالق الرازق المدبر، وكانوا يوقنون بهذا؛ ما عندهم فيه إشكال؛ لكن إشكالهم كان في توحيد الألوهية، وكان عندهم شرك في هذا؛ لذلك جاءهم النبي ﷺ ودعاهم ودعا الناس إلى لا إله إلا الله.

قال: **(والمراد من هذه الكلمة: معناها؛ لا مُجَرَّدَ لَفْظِها)**

وهذا أمرٌ مهم جداً، يجب أن نركز عليه: أنّ مجرد التلفظ بالكلمة لا ينفعك عند الله سبحانه وتعالى؛ الذي ينفعك هو أن تفهم معناها وأن تعمل بمقتضاها؛ هذا الذي ينفعك عند الله سبحانه وتعالى؛ يعني: تقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وأنت لا تدري ما معنى "لا إله إلا الله"، وما معنى "محمد رسول الله"؛ هذا لا ينفعك عند الله، والدليل على ذلك: أن النبي ﷺ قال- كما في "صحيح مسلم"-: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة"[1] لاحِظ: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله"؛

١- أخرجه مسلم (٢٦) عن عثمان رضي الله عنه.

اذاً لابد من العلم بمعناها ومعرفة ذلك والإيمان به؛ حتى تنفعك هذه اللفظة، أما مجرد أن تتلفظ وأنت لا تدري ما معناها؛ فهذه لا تنفعك.

قال: **(والكُفَّارُ الجُهّالُ يعلمونَ أنَّ مُرادَ النبي ﷺ بهذه الكلمة: هو إفرادُ اللهِ تعالى بالتَّعَلُّقِ بهِ، والكفر بما يُعبد من دون الله، والبراءة منه، فإنه لمَّا قال لهم: "قولوا لا إله إلا الله"؛ قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[١])**.

إذاً هذا الأمر كان مُسَلَّماً ومعروفاً عندهم؛ فهم أصحاب لغة وأصحاب سليقة، يفهمون جيداً وليسوا كالذين أتوا من بعدهم؛ اختلطت عليهم اللغات، فما عادوا يستطيعون الفهم بشكل سليم، ولكن أولئك- يعني: أبا جهل وأبا لهب وأبا طالب ومن تابعهم من المشركين- لمّا خاطبهم النبي ﷺ بهذه الكلمة؛ فهموا معناها فهماً صحيحاً؛ لذلك رفضوا وعاندوا وقاتلوا وحاربوا على مخالفة النبي ﷺ، قال: "قولوا لا إله إلا الله"؛ قالوا { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا }؛ إذاً هم يفهمون ويعرفون معنى هذه الكلمة؛ لكنهم رفضوا الإيمان بها، ومن أراد الله سبحانه وتعالى له الإيمان؛ آمن.

قال: **(فإذا عرفتَ أنّ جُهّالَ الكُفّارِ يَعْرِفونَ ذلكِ)**

جُهّال الكفار يعرفون معنى كلمة: "لا إله إلا الله" وأنه لا معبود بحقٍ إلا الله.

قال: **(فالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعي الإسلامَ، وهو لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسيرِ هذه الكلمةِ ما عَرَفَهُ جُهّالُ الكُفَّارِ)**

١- [ص: ٥]

تصور أنّ هذا يدعي الإسلام لكنه لا يعرف معنى كلمة لا إله إلا الله، هذا المعنى الذي عرفه أبو جهل وأبو لهب ومن شابههم، فهذا الشخص الذي يدعي الإسلام؛ أبو جهل أعلم منه بهذه الكلمة.

قال: **(بل يظنُّ أنَّ ذلك هو التَّلَفُّظُ بِحُروفِها مِنْ غَيْرِ اعتقادِ القَلْبِ لشيءٍ من المعاني)**

يعني: مجرد أن يتلفظ بالكلمة؛ يظن نفسه أنه قد أتى بالإسلام وانتهى الأمر.

قال: **(والحاذِقُ منهم)** يعني الذكي **(يظن أنّ معناها: لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا يُدبِّرُ الأمرَ إلا الله)**

هذا الذي عنده شيء من الذكاء ومن المعرفة، يدعي أنه يفهم معناها؛ يقول: معنى "لا إله إلا الله": لا خالق إلا الله ولا مدبر إلا الله؛ يعني يردها إلى معنى الربوبية الذي كان كفار قريش أصلاً يؤمنون به، إذاً لماذا جاءهم النبي ﷺ بـ "لا إله إلا الله"؟ ولماذا قاتلهم عليها إذا كانوا هم مؤمنين بهذه أصلاً؟ ثم يأتي ويدعوهم إلى شيء هم يؤمنون به، ما فائدة هذه الدعوة؟

ولا تستغرب هذا الذي ذكره المؤلف؛ فهو الذي كان سائداً عند الكثير ممن يدعي العلم من المتكلمين، المتكلمون من المتأخرين غالبهم معنى كلمة لا إله إلا الله عندهم على معنى الربوبية؛ لذلك تجد علماء المتكلمين لا يرفعون رأساً بالتوحيد، وتجد الأوثان تُعبد أمامهم؛ يُذبح لها ويُتضرع لها وتُدعى من دون الله سبحانه وتعالى، وهم لا يرفعون رأساً بذلك؛ بل يحاربون مَن يدعو الى التوحيد؛ وهذا كان في عهد المؤلف رحمه الله بكثرة، وهو في عهدنا كثير أيضاً؛ موجود ممن يزعمون العلم ويعبدون الأوثان أيضاً، هم إما يعبدون، أو يُقِرّونَ من يعبد الأوثان؛ لأنهم لا يفهمون معنى كلمة "لا إله إلا الله" على وجهها الصحيح؛ يفهمونها على ماذا؟ على معنى الربوبية؛ فيقول لك: لا خالق إلا الله،

لا مدبر إلا الله؛ خلاص أنت إذا آمنت بأنه لا خالق إلا الله؛ انتهى الأمر؛ هذا حتى أبو جهل أفقه منه في هذه المسألة؛ أفهم منه لمعناها؛ حتى أبو جهل.

قال: **(فلا خَيْرَ في رجلٍ جُهّال الكفار أعلم منه بمعنى "لا إله إلا الله")**

جهال الكفار؛ سماهم جُهالاً مع أنهم يعلمون معنى كلمة لا إله إلا الله؛ لكنهم جُهّال؛ لأن علمهم هذا لم ينفعهم، فالذي عنده علم وعلمه لا ينفعه؛ في الحقيقة جَاهل؛ لأنّ العلم الذي لا ينفع؛ ليس بعلم.

قال: **(إذا عرفتَ ما ذكرتُ لك معرفة قلبٍ)**

أي: عرفت معنى "لا إله إلا الله"، وعرفت حقيقة ما ذكرتُه لك واستيقنتَ من ذلك.

قال: **(وعرفتَ الشرك بالله الذي قال الله فيه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[1])**

فأنت عرفت الآن معنى التوحيد ومعنى الشرك، فليس الشرك فقط أن تَدَّعي بأنه يوجد خالقٌ مع الله ومدبرٌ مع الله وإلى آخره، هذا شرك نعم؛ لكنه شركٌ في الربوبية، حتى كفار قريش ما كانوا يزعمون هذا؛ لكن الشرك الأعظم والذي كان النزاع عليه بين الأنبياء وبين أقوامهم: هو أن تدعو من دون الله ندّاً وهو خلقك، أن تعبد غير الله تبارك وتعالى؛ وهذا الشرك الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}؛ لكن ليس خاصاً بهذا؛ كل الشرك داخل في هذه الآية؛ شرك الربوبية، شرك الأسماء والصفات، شرك في الألوهية؛ كله داخل في هذا.

١- [النساء: ٤٨]

قال: **(وعرفتَ دينَ اللهِ الذي أَرْسَلَ به الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ)**

يعني إذا عرفتَ ما ذكرت لك، وعرفت معنى الشرك، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل مِن أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه.

قال: **(وعَرَفْتَ ما أَصْبَحَ غالِبُ النَّاسِ فيه مِنَ الجَهْلِ بهذا؛ أفادكَ فائدتين)**

إذا عرفت كل هذا استفدت فائدتين؛ ما هما؟

قال: **(الأولى: الفرحُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ)**

ما هو فضل الله ورحمته؟ هو أنْ مَنَّ الله عليك بأن عرفت معنى التوحيد، وعرفت معنى الشرك، وعرفت دعوة الأنبياء؛ ما هي؟ هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى؛ وهي نعمة هداية البيان؛ أنْ بيَّن الله سبحانه وتعالى لك فتَبيَّن لك الأمر، الفرح بفضل الله ورحمته، فأنت تفرح بهذا؛ لأن الله سبحانه وتعالى رحمك وبيَّن لك، وإذا رزقك الاتّباع؛ فهي هداية التوفيق؛ فيُتِمّ الله سبحانه وتعالى نعمته عليك بهداية البيان وهداية التوفيق وتفرح بهذا؛ تفرح أنْ مَنّ الله عليك بذلك.

قال: (**كما قال الله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}**[1])

والفرح بمثل هذا نعمة، الفرح بنعمة الله سبحانه وتعالى مطلوب كما في هذه الآية.

قال: **(وأفادَكَ أيضاً: الخوفَ العظيمَ؛ فإنك إذا عرفتَ أنّ الإنسانَ يَكْفُرُ بكلمةٍ يُخْرِجُها مِنْ لِسانِهِ)**

١- [يونس: ٥٨]

يعني معرفتك بما ذُكر سابقاً يفيدك الخوف العظيم- يعني: أنك تخاف خوفاً عظيماً- من ماذا؟ من أن تقع في الكفر بكلمةٍ تخرج من لسانك؛ فالإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، فأنت تخاف من هذا؛ أن تخرج من لسانك كلمة تكفر بها .

قال: **(وقد يقولُها وهو جاهِلٌ؛ فلا يُعذَرُ بالجَهْلِ)**

هل يعني ذلك أنّ المؤلف لا يَعذُر بالجهل؟

قد تقدم وتكلمنا نحن في درس شرح السنة للبربهاري- أظنه الدرس الثاني أو الثالث-، وذكرنا التفصيل هناك في مسألة العذر بالجهل وما الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنه، وذكرنا أن الناس اليوم بين الإفراط والتفريط في هذه المسألة، والاعتدال في الأمر: هو أن تسلك مذهب السلف رضي الله عنهم في ذلك؛ وهم كانوا يُقسّمون الجهل الى قسمين:

جهلٌ يُعذَر به صاحبه وجهلٌ لا يُعذَر به، ولعل المؤلف هنا يريد بذلك النوع الثاني وهو الجهل الذي لا يعذر به صاحبه، وهذا الجهل: هو الذي معه تقصيرٌ في التعلم؛ فالشخص اذا كان منه تقصيرٌ في التعلم ويجهل بسبب تقصيره هذا؛ لا يعذر بجهله، أما إذا لم يكن معه تقصير في التعلم، بحيث أنه غير متمكن من العلم؛ عندئذٍ يعذر بجهله، والتفصيل الذين ذكرنا لكم أنه موجود في الدرس الثاني أو الثالث من "شرح السنة" للبربهاري؛ تقدم معكم في الدروس الماضية.

لكن على كل حال: لا شك أن الكفر قريبٌ جداً من الإنسان؛ فلذلك ينبغي أن يخشى على نفسه منه ويراقب نفسه دائماً؛ يتعلم ويستغفر ويعود إلى الله سبحانه وتعالى، ويجتنب الكفر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال: (وقدْ يقولُها وهو يظنُّ أنَّها تُقَرِّبُهُ إلى اللهِ) أي: وقد يقول الكلمة وهو يظن أنها تقربه الى الله؛ هذا الذي عليه الآن كثير من المشركين؛ يتقربون إلى الأوثان وهم يظنون أنها تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي كان عليه كفار قريش؛ يتقربون إلى الأصنام ويعبدونها ويظنون أنها ستقربهم إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: (كما كانَ ظَنَّ المُشْركونَ؛ خُصوصاً إنْ ألهَمَكَ اللهُ ما قَصَّ عنْ قومِ موسى؛ معَ صلاحِهِمْ وعلمهمْ أنَّهُمْ أُتوه؛ قائلين: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[1])

الحادثة التي حصلت مع قوم موسى؛ يذكر المؤلف أنه مع صلاحهم وعلمهم؛ إلا أنهم قالوا لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}؛ فهؤلاء طلبوا شركاً، مع أنهم كانوا مع موسى وكانوا من المسلمين؛ لكنهم طلبوا هذا الشرك؛ فانظر إلى قرب الشرك منك؛ فالأمر خطير جداً، وتعلمك التوحيد وتعلمك الشرك ومعرفته؛ كي تجتنبه كما كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عن الفتن خشية أن يقع فيها؛ فأنت تعرف الشر وتسأل عنه كي تحذر وتبتعد عنه، فتتعلم التوحيد وتتعلم الشرك؛ تتعلم التوحيد لتعمل به وتمسك به، وتتعلم الشرك كي تجتنبه وتكون حذراً منه.

قال: (فحِينئذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ على ما يُخَلِّصُكَ مِنْ هذا وأَمْثالِهِ)

ما الذي يخلصك؟ يخلصك: العلم والعمل والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: (واعْلَمْ أَنَّ اللهَ سبحانه مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً بهذا التَّوْحيدِ؛ إلا جَعَلَ لَهُ أَعْداءً؛ كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}[2])

١- [الأعراف: ١٣٨]

٢- [الأنعام: ١١٢]

هذا الأمر واضح؛ ما يأتي نبي- يرسل الله سبحانه وتعالى نبياً- إلا ويكون له أعداء، وليس فقط الأنبياء؛ بل الأنبياء وأتباع الأنبياء؛ حتى العلماء الربانيون كذلك.

قال أهل العلم: وذلك لأنه عندما يكون هناك أعداء؛ تقوى الدعوة وتقوى الحجة ويزداد البيان، عندما يكون هناك أعداء تكون لهم شبهات، والشبهات تأتي عليها ردود؛ فيتضح الحق أكثر وأكثر وينتشر، وتصبح هناك حوادث يهتم الناس بها وبمعرفتها؛ فينتشر الحق أكثر وأكثر؛ لذلك يكون لكل نبيٍ عدو من الإنس والجن وكذلك أتباع الأنبياء، وأنتم ترون عندما تحصل فتنة جديدة بين عالم من علماء السنة وأهل الضلال ويتكلمون؛ ينتشر الأمر ويزيد وضوحاً، وتنتشر الحجج والبراهين، ويسطع الحق زيادة عما يكون عليه؛ وهذه سنة الله في خلقه.

قال: **(وقد يكونُ لأعْداءِ التَّوْحيدِ علومٌ كثيرةٌ، وكتبٌ، وحُجَجٌ)**

وهذا لا شك صحيح، ربما يكون عدو التوحيد- سواءً كان عدو النبي أو عدو الولي؛ العالم الذي يدعو الى التوحيد- ربما يكون عالماً، وتكون عنده حجج، هي في الظاهر حُججٌ؛ لكنها في الحقيقة شبهات؛ لكن هذه الشبهات تحتاج إلى رد، تحتاج الى علم.

قال: **(كما قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ }[1])**

إذاً كان عندهم علم، وفرحوا به.

قال: **(إذا عرفت ذلكَ، وعرفتَ أَنَّ الطَّريقَ إلى اللهِ لا بُدَّ لهُ من أعداءٍ قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلمٍ وحُجَجٍ؛ فالواجبُ عليكَ أن تَتَعَلَّمَ مِنْ دينِ الله ما يَصيرُ لكَ سِلاحاً)**

١- [غافر: ٨٣]

إذاً أنت إذا كنت داعية الى التوحيد لابد لك من سلاح، تقاوم به الشرك وأهل الشرك؛ لأن أهل الشرك فيهم علماء وعندهم شبهات، وأنت بحاجة إلى رد هذه الشبهات؛ كيف تردها؟ تردها بالعلم وليس مجرد حميّة كما نرى اليوم من كثير من الشباب؛ عندهم حميّة واندفاع؛ لكنهم لا يستطيعون أن يردوا شبهة؛ لأنهم لا علم عندهم؛ العلم هو السلاح، هذا السلاح الذي كان يتحلَّى به الأنبياء، ويتحلى به أتباع الأنبياء، كان الأنبياء يقاتلون بالسيف ويقاتلون بالحجة والبرهان؛ فكانوا يحاربون المنافقين بالحجج والأدلة، وكانوا يحاربون الكفار الأصليين المعاندين بالسيوف؛ وهكذا العلماء الربانيون.

قال: **(تُقاتِلُ به هؤلاء الشياطين)**

هذا السلاح تقاتل به هؤلاء الشياطين.

قال: **(الذين قال إمامهم ومُقدَّمهم لربك عز وجل: {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}[١])**

إمامهم ابليس

قال: **(ولكنْ إذا أَقْبَلْتَ على اللهِ، وَأَصْغَيْتَ إلى حُجَجِهِ وَبَيِّناتِهِ؛ فَلا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ؛ {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[٢])**

١- [الأعراف: ١٦-١٧]
٢- [النساء: ٧٦]

يعني لا تفتر ولا تضعف ولا تخف من هؤلاء، هؤلاء كيدهم ضعيف وحججهم واهية، فقط أنت تحتاج إلى أن تكون مُجالِساً لأهل العلم؛ حتى تستفيد منهم وتعرف كيف ترد على شبهاتهم.

قال: **(والعامّيُّ مِنَ المُوَحِّدين يَغْلِبُ ألفاً من عُلماءِ هؤلاءِ المشركين)**

لأنهم ما عندهم علم حقيقي قوي، والعامّي من الموحدين إذا كان يجالس أهل العلم ويسمع العلم؛ بإمكانه أن يغلب هؤلاء.

قال: **(كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}[1]؛ فَجُنْدُ اللهِ هم الغالِبونَ بالحُجَّةِ واللسانِ؛ كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنانِ)**

فهم يغلبون المنافقين بالحجة والبيان- المنافقين الذين يتكلمون بالشبهات-، ويغلبون الكفار الأصليين المعاندين بالسيف والسنان.

قال: **(وإنَّما الخوفُ على المُوَحِّدِ الذي يَسْلُكُ الطَّريقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ)**

هذا الموحد ما عنده علم، أقل شبهة ترد عليه؛ تذهبه وتضيعه؛ لأنه سلاح عنده يقاوم به، ما عنده دروع تصد هذه الشبهات، ما هو هذا السلاح؟ وما هي هذه الدروع؟ هو العلم؛ هو الذي يصد هذه الشبهات.

قال: **(وقد مَنّ الله علينا بكتابه الذي جعله { تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}[2])**

١- [الصافات: ١٧٣]

٢- [النحل: ٨٩]

مَنّ الله علينا بماذا؟ بالقرآن والسنة؛ فيهما بحمد الله من رد الشبهات ما يكفي؛ لكنك فقط تحتاج إلى صاحب علم يستطيع أن يستخرج هذه الدرر.

قال: **(فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجةٍ؛ إلا وفي القرآن ما ينْقُضُها ويُبيِّنُ بُطْلانَها)**

لأن القرآن جاء بالحق الذي ما بعده إلا الضلال، فأيُّ ضلالٍ؛ تجد رده في القرآن.

قال: **(كما قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}**[1]

قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حُجَّةٍ يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة، وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلامٍ احتج به المشركون في زماننا علينا)

لما جاء المؤلف بدعوة التوحيد، كان من المشركين من عنده شيء من العلم، فأرادوا إثارة بعض الشبهات على دعوته؛ فيريد الآن أن يبين لك الحجج من القرآن في رد هذه الشبهات.

إذاً هذه كلها مقدمة؛ انتهى منها، وسيبدأ بالرد على شبهات هؤلاء القوم بالسلاح الذي معه؛ وهو سلاح العلم، فسيعطيك المؤلف الآن جواباً عاماً مجملاً تجيب به عن كل شبهة، ثم يعطيك أجوبة مفصلة بعد ذلك.

ونكتفي اليوم بهذا والله أعلم.

١- [الفرقان: ٣٣]

شرح كشف الشبهات

الدرس ٣

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد..

اليوم معنا المجلس الثالث من مجالس شرح كشف الشبهات، ويبدأ المؤلف بذكر أجوبة الشبهات حول مسائل التوحيد؛ الشبهات التي كان يذكرها المشركون عبدة الأوثان، عبدة القبور؛ ذكروا شبهات وبدأ المؤلف رحمه الله بردها؛ فهو يعلّمك الآن كيف ترد الشبهات ويبيّن لك أنّ الله سبحانه وتعالى قد بيّن في كتابه كل شيء وما أبقى على شبهةٍ ترِد على مسائل التوحيد؛ إلا وفندها والحمد لله.

يريد أن يذكر لك الآن جوابين:

جواباً مجملاً ينطبق على كل الشبهات- جميع الشبهات-، ولا يتعلق بمسألة دون أخرى أو شبهة دون أخرى؛ بل هو رد ترد به على كل شبهةٍ ترد عليك؛ سواءً كانت في التوحيد أو في غيره من مسائل العلم الشرعي التي فيها نصوص محكمة، ما عليك فقط إلا أن تعرف المحكم، تعرف الصواب بأدلته بالكتاب والسنة، وتعرف ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم في المسألة العلمية الشرعية؛ فقط، ثم بعد ذلك أيّ شبهةٍ ترد عليك من أيّ شخصٍ مخالف؛ مباشرة ترد عليه بهذا الرد الذي سيذكره لك؛ وهو الرد المجمل.

أمّا الرد المفصل؛ فهو الذي يتعلق بكل شبهةٍ- يعني خاصة-، وردّ كل شبهة يكون خاصاً بها.

قال: **(فنقول: جوابُ أهْلِ الباطلِ مِنْ طريقين؛ مُجْمَلٍ ومُفَصَّلٍ، أمَّا المُجْمَلُ؛ فهو الأمرُ العظيمُ والفائدةُ الكبيرةُ؛ لمنْ عَقَلَها)**

يعني فهمها.

قال: **(وذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}[1])**

يعني: أيَّ شبهة تَرِد عليك؛ تجيب عنها بهذه الآية؛ ما معنى هذه الآية؟

معناها: أنّ نصوص الشريعة من القرآن والسنة تنقسم الى قسمين؛ قسمٍ منها أدلةٌ محكمة، وقسمٍ أدلةٌ متشابهة، وقد فصلنا القول في هذا في شرحنا على "لمعة الاعتقاد"، وذكرنا المحكم والمتشابه والتفصيل كاملاً هناك، وقد ذكرت لكم أن هذه الدروس ستكون مبنية على دروسٍ سابقة؛ سواءً كانت في مسائل التوحيد أو في مسائل العقيدة التي درستموها في السابق؛ اذاً هنا ترجع في تفصيل هذه المسألة إلى شرحي على "لمعة الاعتقاد"؛ هناك تفصيل يناسب الطالب المبتدئ؛ لكن الآن سنذكر ما يناسبكم أنتم.

الجواب على أيّ شبهة تَرِد عليك؛ ترُدُّها بهذا، إذا ذكرت لك شبهةٌ، وما عرفت جوابها ماذا تقول؟

أقول عندي شيءٌ محكم؛ أدلةٌ محكمة بنيتُ عليها عقيدتي وبنيتُ عليها ديني، وهذا الشيء المحكم أدلته واضحة وصريحة؛ وهي التي بيَّنها المؤلف في السابق في مقدمة الكتاب، بيَّن لك ما هو التوحيد وما هو الشرك، وبيَّن لك الشرك الذي كان عليه مشركو قريش، وبيَّن لك أنّ توحيد الربوبية وحده غير كافٍ؛ وقد كان محقَّقاً عند كفار قريش، وأنّ شركهم كان في توحيد العبادة، ولا يكون العبد موحداً حتى يوحِّد في جميع أنواع التوحيد ولا يشرك

١- [آل عمران: ٧]

في شيءٍ منها، وأنّ كفار قريش كانوا يعبدون الأوثان؛ يبتغون شفاعتها عند الله سبحانه وتعالى؛ هذا كله قد بيَّنه لك وبيَّن لك حُكمه.

إذاً هذه كلها ذكرها لك بأدلتها؛ فهي محكمات، فإذا أورد عليك أحدٌ أيّ شبهة بعد ذلك حول هذا الأمر؛ فتقول له: عندي أدلة محكمة ومسائل بيّنة؛ فأنا أدين الله سبحانه وتعالى بها، أمّا ما ذكرت أنت؛ فهذا إذا كان عندك جوابٌ خاصٌ به تجيب، وإذا لم يكن عندك جواب خاص، لا تعلم؛ فتقول: نرد المتشابه إلى المحكم؛ لأن هذا الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به؛ ذكر لنا أنّ هذا الكتاب {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ}؛ وهي التي لا تدل إلا على معنىً واحد؛ ليس فيها اشتباه ولا تلتبس عليك، آيات محكمات؛ يعني واضحة بيّنة لا تُعطي إلا معنى واحداً؛ فقال في كتابه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ} واضحات الدلالة، صريحات لا يعطين إلا معنى واحداً؛ ليس فيهن لبس أبداً، ثم قال: {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} أي: أصل الكتاب؛ يعني: هن الأصل الذي تبني عليه دينك وتعتمده، هنّ أصل الكتاب، يُرَدّ إليهن كل شيء.

{وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} يعني تشتبه؛ تعطي أكثر من معنى؛ فيلتبس الأمر على البعض.

قال: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ}؛ إذاً عندما تأخذ أنت بالمتشابه تكون مِمَّن؟ قال: تكون ممن في قلبه زيغٌ؛ لأن الذي يتمسك بالمتشابه وبالمتشابهات ويترك المحكمات؛ هذا الذي في قلبه زيغ كما قال الله سبحانه وتعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} إذاً هذه علامة، مَن تمسّك بالمتشابه وترك المحكم؛ ففي قلبه زيغٌ، إذاً هو من أهل الضلال والانحراف عن الحق؛ لأنه ترك المحكمات وتمسّك بالمتشابهات، فأظهَر لنا حقيقةً ما في نفسه من زيغٍ.

{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} الراسخون في العلم يؤمنون بهذا وبهذا؛ لكنهم يجعلون المحكم هو الأصل ويردُّون المتشابه إليه؛ لأنه يقول: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} فيؤمنون بالجميع ؛ولكنهم يجعلون المحكم هو الأصل ويردُّون المتشابه إليه، ويفهمونه بناءً عليه؛ لأنّ كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة النبي ﷺ لا تتعارض؛ كلها خارجة من حكيمٍ عليم فلا يمكن أن تتعارض؛ إنما التعارض يكون في أفهامنا، فنحن نُوجِّه المتشابه هذا ونفهمه بناءً على المحكم؛ فنجعله يتوافق معه في فهمنا.

فإذاً طريقة الراسخين في العلم- والواجب- هو رد المتشابه إلى المحكم وليس العكس؛ العكس يفعله أهل البدع الذين في قلوبهم زيغ، فعندما يطرح عليك شبهة؛ تقول له عندي المحكمات واضحات وأدلة واضحة وصريحة، وديني مبني على ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، وشبهتك هذه التي ذكرت تُرَدّ إلى هذا المحكم، استطعت أنت أن تَرُدَّها وتبيِّن له المعنى الصحيح فالحمد لله، ما استطاعت؛ فقل له هذا عندي أمر راسخ، وهذا المتشابه يُرَدّ إلى المحكم، أمّا الكيفية فالله أعلم؛ يعلمها أهل العلم؛ فقط هذا هو الرد، هذه قاعدة عامة تأخذها في كل أمور الشريعة، واجبك أن تتعلم فقط الأصول الصحيحة والعقيدة السليمة وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم من ذلك، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة المحكمة؛ فقط وبعد هذا ينتهي الأمر.

قال: **(وَقَدْ صَحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إذا رأيتم الذين يَتَّبِعونَ ما تَشابَه مِنْهُ؛ فأولئك الذين سمى الله؛ فاحذروهم"[١])**

١- أخرجه البخاري(٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها.

احذروا مَن؟ احذروا الأقوال أم احذروا الأقوال وأصحاب الأقوال؟ قال فاحذروهم؛ أي أصحاب الأقوال؛ احذروا مِن قولهم؛ لأنهم تمسَّكوا بالمتشابه وتركوا المحكم، واحذروا من الأشخاص أنفسهم.

وهذا ردٌ على الذين يقولون حَذِّرْ من القول ولا تُحَذِّر من القائل؛ هذا قولٌ باطل لأن هذا القائل في قلبه مرض، في قلبه زيغ أبان لنا عنه بماذا؟ باتباعه للمتشابه، فلما اتبع المتشابه؛ علمنا أنّ في قلبه زيغاً، علمنا ذلك؛ فلذلك الآن هو لن يقتصر على شبهة أو شبهتين أو ثلاث عندما يطلقها؛ فأنت تُحذِّر من هذا القول، ثم بعد ذلك تريد أن تتابع معه أربعة وعشرين ساعة حتى تعرف الأقوال الأخرى التي ذكرها، انتهى؛ قد أبان لك عن عورته، فضح نفسه؛ فمثل هذا تُحذِّر منه وينتهي أمره، ولا تتابع أربعة وعشرين ساعة ما الذي يقوله حتى تقول: أترك هذا وخذ هذا، دعك من كذا وأمسك كذا؛ هذا لا يصلح، ما هكذا كان الأمر؛ خلاص دعه وليسلم لك دينك، ثم خذ من أهل الصفاء؛ من أهل العقيدة السليمة، من أصحاب العقيدة الصحيحة، من أهل الحق؛ هكذا كان السلف رضي الله عنهم يفعلون؛ لذلك اتفقوا على هجر أهل البدع وعدم الأخذ عنهم بإجماعهم؛ وإنما حصلت الميوعة وحصل تلبيس الحق بالباطل وخلط الأمور ببعضها عند المتأخرين؛ أما السلف فما كان عندهم هذا.

قال: **(مثال ذلك: إذا قال لك بعضُ المشركين: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[1]، وأَنَّ الشَّفاعَةَ حَقٌّ، وأَنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عندَ الله)**

الآن هذا مثال على شبهة يطرحها البعض، كيف تتعامل معها أنت من خلال المحكم والمتشابه؛ فقال: مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

١- [يونس: ٦٢]

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، هذه الآية تدل على فضل أولياء الله، ومن هم الأولياء؟ هم: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}؛ كما جاء في الآية: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} هذا هو الولي؛ المؤمن التقي الصالح الذي يفعل الواجبات ويترك المحرمات ويتضرع إلى ربه تبارك وتعالى.

قال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ماذا تدلك هذه الآية؟ تدل على فضل الأولياء، هم أصحاب فضل ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قالوا: (إنّ الشفاعة حق؛ هذا مقرر) إذاً الأولياء لهم فضل ولهم مكانة والشفاعة حق وإنّ الأنبياء لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى؛ إذاً ما النتيجة الذي يريد أن يصل إليها؟

إذاً نحن نرجوهم ونتضرع اليهم ونعبدهم من أجل أن يشفعوا لنا؛ هذا الذي يريده من هذه الشبهة التي ذكرها، إذا كانت الشفاعة حقاً وكان الأولياء بالمنزلة التي ذكِرت، والأنبياء لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى؛ وهذا أمرٌ لا ينازَع فيه؛ إذن النتيجة أننا نعبدهم كي يشفعوا لنا عند الله؛ هذا الذي يريد أن يصل إليه؛ هذه شبهة يلقيها لك؛ فكيف ترد؟

إذا عرفت كيف ترد بالتفصيل؛ فالحمد لله، كيف ترد؟ نرد نقول له: نعم هذا حق؛ ما ذكرته في المقدمة حق: أنّ أولياء الله سبحانه وتعالى لهم فضل، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وأنّ الشفاعة حق، وأنّ الأنبياء لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى؛ هذا كله حق، لكن النتيجة التي خرجتَ بها باطلة فاسدة؛ فلا يلزم من كون أولياء الله سبحانه وتعالى أصحاب فضل وأصحاب مكانة ولهم جاه: أن نعبدهم وأن نتقرب إليهم وأن ندعوهم ونرجوهم ونخافهم، لا يلزم هذا؛ هذا باطل؛ فهذا ما كان يفعله كفار قريش، وبهذا أخذوا، وأنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك، وقاتلهم النبي ﷺ لتركه؛ فكيف تجعل هذا لازماً لهذا؟ هذا ليس بلازم.

إذاً نقول: نعم كل هذا حق؛ ولكن ليس فيه دليل على أن نشرك بهؤلاء الأولياء أو بهؤلاء الرسل أو بهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله سبحانه وتعالى، ودعواك أنّ هذا يدل على ذاك؛ دعوة باطلة لا يحتجّ بها إلا مبطل، وما أنت إلا من الذين قال الله عز وجل فيهم {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْه}؛ فواجبك أنّ ترد هذا المتشابه الى المحكم، ولو فعلت ذلك؛ لاعتقدت العقيدة الصحيحة وما وقعت في الشرك.

قال: **(أو ذَكَرَ كلاماً للنبي ﷺ يَسْتَدِلُّ به على شيءٍ مِنْ باطِلِهِ)**

يعني حتى لو ذكر لك حديثاً عن النبي ﷺ، وهو يريد أنّ يستدل به على جواز عبادة الأولياء.

قال: **(وأنت لا تَفْهَمُ معنى الكلامِ الذي ذَكَرَهُ)**

لا تعرف كيف توجِّه هذا الكلام الذي ذكره، لكنك تعرف بناءً على ما درست وتعلمت من العقيدة الصحيحة ومن الأدلة المحكمة أنّ كلامه باطل؛ لكن ما تستطيع أن توجّه الأدلة التي ذكرها؛ كيف تفهمها؟

قال: **(فجاوبه بقولك: إنَّ اللهَ ذَكَرَ في كتابه أنّ الذين في قلوبهم زَيْغٌ يَتْرُكونَ الْمُحْكَمَ وَيَتَّبعونَ الْمُتَشابِهِ وما ذَكَرْتُه لك من أَنَّ الله تعالى ذَكَرَ أَنَّ المشركين يُقِرّونَ بالربوبية، وأنّ كُفْرَهم بِتَعَلُّقِهِمْ على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}[1]؛ هذا أمرٌ محكمٌ بَيِّنٌ، لا يقدر أحدٌ أن يُغَيِّرَ معناه)**

يعني هذا المحكم المقرر عندك أنت، والثابت؛ وهو أنّ المشركين كانوا يقِرُّون بالربوبية، كما أنت أيها المشرك يا من تستدل بهذه الأدلة مُقِرٌّ الآن بالربوبية، وأنّ كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء- وهو كُفر المشركين- وكانوا يقولون {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}؛ كانوا

١- [يونس: ١٨]

يعبدونهم لهذا، وأنت تقرر نفس ما كانوا يقررونه بالضبط؛ لكن هذا عندنا نحن أمرٌ محكم لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه.

قال: **(وما ذكرتَ لي أيها المشركُ مِنَ القُرْآنِ أو كلامِ النَّبيِّ ﷺ؛ لا أَعْرِفُ معناه)**

أي: أنا لا أعرف كيف أردّ عليك؛ ما أعرف ما المعنى المقصود الصحيح من هذه الآية وهذا الحديث النبوي؛ لذلك لا أعرف كيف أرد عليك شبهتك هذه.

قال: **(لكن أَقْطَعُ أَنَّ كلامَ اللهِ لا يَتَناقَضُ)**

لا شك؛ كلام الله لا يتناقض، وما ذكرت أنت مثلاً من الآية: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}؛ هذا حق ما عندنا إشكال فيه، وكلام الله لا يتناقض، وعندما نهانا الله سبحانه وتعالى عن عبادة الأوثان بجميع أصنافها؛ لا يتناقض هذا مع قوله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

قال: **(وأنّ كلامَ النَّبيِّ ﷺ لا يُخالِفُ كلامَ اللهِ)**

أبداً؛ كله حق، وكله خارج من مشكاةٍ واحدة، كله وحيٌ من الله سبحانه وتعالى؛ فأنا أؤمن بهذا، لكن المعنى الذي أنت تستدلّ به؛ باطل عندي يقيناً، وليس عندي شك في بطلانه؛ لأنه مخالف للمحكم الذي نعرفه؛ وهذا الجواب طيب.

قال: **(وهذا جوابٌ جيدٌ سَديدٌ)**

كافٍ؛ ما تحتاج إلى زيادة، طيب جداً.

قال: **(ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله)**

يعني: هذا الجواب لا يفهمه إلا من وفقه الله؛ فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات.

قال: **(فلا تَشْتَبِهْ به)**

هو جواب قوي وكافٍ؛ لكن ليس الكل يفهم هذا.

قال: **(فإنه كما قال تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[1])**

يعني الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى الفهم السليم؛ هو هذا صاحب الحظ العظيم عند الله سبحانه وتعالى؛ هذا الجواب المجمل على الشبهة المطروحة.

طبعاً نحن أيضاً عندنا جواب مفصل عن الآية التي ذكرها {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}؛ هذا الجواب عليه ما ذكرنا: نعم هذه الآية تثبت فضيلة الأولياء- أولياء الله سبحانه وتعالى-، وهذا أمرٌ لا يناقش فيه اثنان: أنّ الوليّ إذا حقق الولاية بالفعل وأتى بأسبابها، وكان من المتقين ومن الصالحين؛ أنّ هذا الولي له مكانة عند الله سبحانه وتعالى وله فضل؛ نحن نعلم هذا ولا ننكره؛ فنقول: أولياء الله سبحانه وتعالى لا خوفٌ عليهم من عقاب الله تبارك وتعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا؛ هذا معنى الآية؛ إذاً لهم مكانة لهم منزلة عند الله سبحانه وتعالى لهم فضل؟ نعم؛ لكن هل في الآية دليلٌ على أننا نعبدهم ونتقرب إليهم من أجل أن يشفعوا لنا؟

ليس في الآية دليلٌ على ذلك؛ بل نحن نُهينا عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى، والشفاعة نطلبها من مالكها؛ وهو الله سبحانه وتعالى، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى لنا أنّ الشفاعة لله جميعاً، إذاً تُطْلَبُ مِمَّن؟ من الله سبحانه وتعالى.

١- [فصلت: ٣٥]

ومَن أحق الناس بشفاعة النبي ﷺ؟ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه؛ إذاً لا معبود بحقٍ إلا الله سبحانه وتعالى؛ بإخلاص، إذاً صرف العبادة يكون لله سبحانه وتعالى وحده؛ هكذا تنال الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى.

هذا هو الجواب المفصل في هذه الآية؛ الله سبحانه وتعالى بيَّن لنا فضيلة الأولياء؛ لكنه لم يقل لنا أن نرجوهم وندعوهم ونتضرع اليهم ونخافهم وأن ندعوهم حتى بطلب الشفاعة، لم يقل لنا هذا؛ فهناك فرقٌ بين الأول والثاني؛ لأن هذا الجزء الثاني منهي عنه، والجزء الأول الذي هو اعتقاد فضيلة الأولياء؛ هذا مأمور به؛ ليس فيه إشكال؛ هذا هو الفرق بين هذا وهذا. والله أعلم.

والدرس القادم نبدأ بالجواب المفصل إن شاء الله. والله أعلم.

شرح كشف الشبهات

الدرس ٤

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

معنا اليوم درسٌ جديد من دروس شرح كشف الشبهات وهو الدرس الرابع، وقد ذكرنا في الدرس الماضي كيفية رد الشبهات فذكر المؤلف رحمه الله طريقتين:

الطريقة الأولى؛ وهي رد جميع الشبهات التي ترِد عليك في أمور دينك؛ وهي رد المتشابه الى المحكم؛ فأنت ما عليك إلا أن تتعلم المحكم وتعرف دينك بشكل صحيح، ثم بعد ذلك أيّ شبهةٍ ترِد عليك في أيِّ باب من أبواب الشريعة؛ ترُدّها مباشرة إلى المحكمات التي تعرفها وهي ثابتة عندك.

والشبهة التي ترد عليك؛ قل: هذه من المتشابه الذي يجب أن يرَدّ الى المحكم، فإذا عرفت كيفية الرد؛ ترد- يعني ترد المتشابه الى المحكم- وإذا لم تعرف كيفية الرد؛ فتقول: هذه يُرْجَعُ فيها إلى العلماء الراسخين في العلم؛ هم الذين يعرفون كيف يردون هذه الشبهة إلى المحكمات.

والآن يبدأ المؤلف معنا بالجواب المفصل، جواب مفصل؛ يعني: كل شبهة لها جوابٌ خاصٌ بها؛ يردّها به.

ويذكر المؤلف رحمه الله في هذا الدرس ثلاث شبهٍ من الشبهات ويردّها بالتفصيل؛

فقال: **(وأمَّا الجوابُ المُفَصَّلُ؛ فإنَّ أعْداءَ اللهِ لَهمْ اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بها النَّاسَ عنهُ)**

أعداء الله المقصودون هنا: كل الذين يحاربون الله سبحانه وتعالى ويحاربون شريعته ودينه بشتى الطرق وبأسباب مختلفة؛ سواء كانوا من الكفار الأصليين أو من الكفار المرتدين أو

من عبدة القبور وغيرهم؛ كلهم من أعداء الله؛ المهم أنهم أعداء لهذا الدين يحاولون بقدر الإمكان التلبيس على الناس، وتغيير هذا الدين وتشويهه.

أعداء الله لهم اعتراضات؛ يعترضون على شريعة الله سبحانه وتعالى، يعترضون على التوحيد، على الأحكام الشرعية، هؤلاء الأعداء لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل؛ يعني شبهات يلقونها ويعترضون بها؛ فيورد عليك إشكالات في عقيدتك التي أنت عليها؛ لكي يصد الناس عن دين الله سبحانه وتعالى.

قال: **(منها قولهم: لا نُشْرِكُ بالله)**

من هؤلاء؟ هؤلاء الذين يعبدون القبور؛ مثلاً: عبدة الأوثان؛ سواءً كانت هذه الأوثان من القبور أو من الأصنام أو من غيرها- لكن هؤلاء تحديداً؛ الذين يعبدون القبور- يقولون لك: نحن لا نشرك بالله.

لماذا لا تشرك؛ وقد بينا لك سابقاً معنى الشرك ومعنى توحيد الالوهية ومعنى توحيد الربوبية؟ ولماذا كان المشركون يعبدون الأصنام يريدون أن تقربهم الى الله زلفى؟ هذه المقدمة التي تقدمت معنا في الدروس السابقة مهمة جداً؛ احفظها، في هذه المقدمة رد على هذه الشبهة التي ستذكر الآن.

قال: **(بَلْ نَشْهَدُ أنَّه لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ ولا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمداً ﷺ لا يَمْلِكُ لنَفْسِهِ نفعاً ولا ضراً؛ فَضْلاً عَنْ عبدالقادرِ أو غَيْرِهِ)**

طبعاً هذا الكلام لصنفٍ من هؤلاء الأصناف؛ يعني: نوعاً من أنواع عبدة القبور، عبدة القبور عقائدهم مختلفة؛ ليسوا جميعاً على نفس العقيدة؛ إلا أنهم اجتمعوا جميعاً في عبادة القبور، وصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى؛ فاجتمعوا من هذه الناحية في الشرك؛ لكنهم اختلفوا في اعتقاداتهم؛ منهم من يعتقد هذه العقيدة التي ذكرت هنا الآن؛ يعتقدون أن

الآلهة هذه يعبدونها من أجل أن تشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى، ولا يعتقدون أنها تنفع أو تضر... إلى آخره؛ لكن الحقيقة أن الموجود اليوم- مثلاً- عندنا في عبدة القبور غير هذا؛ فكثير منهم يعتقد أن هذه القبور تنفع وتضر؛ حتى إنهم يدعون صاحب القبر أن يرزقهم الولد أو أن ينزل عليهم المطر... إلى آخره؛ وهذا موجود- بعض الأصناف من هذا النوع-؛ فاذاً هم أصناف وليسوا صنفاً واحداً، ولكلٍ منهم شبهة.

إذاً عندنا الآن هؤلاء من الذين يعتقدون هذا الاعتقاد؛ لكن يقولون: نحن لا نشرك بالله- نحن نقول لهم: أنتم تشركون؛ وهم يقولون: نحن لا نشرك-؛ لماذا لا تشركون؟

قالوا: (لأننا نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر)، وعبد القادر هذا هو عبد القادر الجيلاني؛ وهو أحد الزهاد، ويذكر بعض أهل العلم أنه كان على السنة حقيقةً ولم يكن صوفياً؛ لكن الصوفية تبنّوه وغلوا فيه، وصارت عندهم طريقة اسمها الطريقة الجيلانية؛ أما هو فلم يكن صوفياً- فيما يذكر بعض أهل العلم أنه كان على السنة والله أعلم- توفي سنة إحدى وستين وخمس مائة في بغداد وكان حنبلياً؛ والمهم أنه كان رمزاً من رموز الصوفية؛ فالصوفية عندهم رموز يعبدونهم من دون الله سبحانه وتعالى؛ سواء كان عبد القادر الجيلاني، أو الحسين، أو العيدروس في اليمن، أو عبد السلام الأسمر في ليبيا، أو الأضرحة التي في مصر، أو غيرها كثير في مصر، وفي دمشق وغيرها كثير جداً في أماكن مختلفة، والعبرة ليست في نفس الشخص؛ بل العبرة في صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى؛ هذا هو المهم، وهنا يقولون لك نحن نعلم أنّ هؤلاء لا ينفعون ولا يضرون، ونعتقد أنّ الخالق الرازق النافع الضار هو الله سبحانه وتعالى؛ إذاً أين الشرك؟ هذه شبهتهم.

قال المؤلف: **(ولكن أنا مُذْنِبٌ، والصَّالِحونَ لهم جاهٌ عندَ الله، وأطْلُبُ مِنَ اللهِ بهم)**

أي: يقول لك: أنا عندي ذنوب، نعم أنا اعتقد هذه العقيدة؛ لكن عندي ذنوب والصالحون لهم جاهٌ عند الله، واطلب من الله بهم؛ هذه هي شبهته.

قال: **(فجاوبه بما تقدم؛ وهو: أنَّ الذينَ قاتَلَهُمْ رسولُ الله ﷺ، مُقِرُّونَ بما ذكرتَ، ومُقِرُّونَ بأنَّ أوْثانَهُمْ لا تُدَبِّرُ شيئاً؛ وإنَّما أرادوا الجاهَ والشَّفاعَةَ)**

(بما تقدم) أي: الذي تقدم في أول الرسالة هو رد على هذا؛ المشركون من كفار قريش كانوا يعتقدون أنّ الله هو الخالق الرازق المدبر.. إلى آخره؛ نفس عقيدتك تماماً، ويعتقدون أنّ هذه الآلهة التي كانوا يعبدونها تقرّبهم إلى الله زلفى؛ لذلك كانوا يعبدونها، وهذا هو محل الاشتراك بينك وبينهم؛ أنت تعتقد كما يعتقدون تماماً وتفعل كما يفعلون؛ لكنك فهمت الشرك خطأً، فظننت أنّ الشرك فقط أن تعتقد بأنّ الخالق الرازق المدبر غير الله سبحانه وتعالى؛ لا ليس هذا فقط هو الشرك.

إذن فالجواب بما تقدم؛ وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مثل كفار قريش مقرون بما ذكرت ومقرون بأن أوثانهم لا تدبّرُ شيئاً؛ وإنما أرادوا الجاه والشفاعة؛ هذا الذي كان حاصلاً منهم؛ والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى في سورة يونس: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}[1]؛ إذاً هذه نفس العقيدة أم لا؟ نعم هي نفس العقيدة؛ {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[2] هذه عقيدة مشركي قريش.

قال: **(واقرأ عليه ما ذكرَ اللهُ في كتابه ووضَّحَهُ)**

يعني اقرأ عليه الآيات التي وردت في أنّ كفار قريش كانوا يعتقدون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، واقرأ عليه أنّ كفار قريش كانوا يعبدون أصنامهم لتقربهم الى الله زلفى، واقرأ

١- [يونس: ١٨]

٢- [الزمر: ٣]

عليه آيات التوحيد: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[1] {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[2] إلى آخر الآيات التي وردت في التوحيد وصرف العبادة لله سبحانه وتعالى وحده، وأنّ صرفها لغير الله سبحانه وتعالى يعتبر شركاً.

الآن يورِدُ إيراداً؛ إشكالاً؛ فيقول المؤلف رحمه الله:

(فإن قال هؤلاء الآيات نَزَلَتْ فيمَنْ يَعْبُدُ الأصنامَ؛ كيفَ تجعلونَ الصَّالحينَ مِثْلَ الأصْنامِ؟ أَمْ كيفَ تَجْعَلونَ الأنبياءَ أَصْناماً)

هذه الشبهة الثانية، أين الشبهة هنا؟

الشبهة هنا ليست في العبادة أو فيما يفعل العابد مع المعبود؛ إنما الشبهة في نفس المعبود؛ لمّا اختلف جنس المعبود، يعني: يقول لك الكفار- كفار قريش- كانوا يعبدون الأصنام، الحجارة، الشجر؛ يعني جمادات، مثل هذه الأشياء؛ أمّا نحن فنعبد الصالحين، أناساً صالحين نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

إذاً أين حصل الاختلاف بيننا وبين كفار قريش؟

حصل في جنس المعبود، هم يعبدون أصناماً، نحن نعبد صالحين؛ هكذا يقول.

كيف الرد على هذه الشبهة الآن؟

الجواب عن هذه الشبهة من جهتين:

١- [الأنبياء: ٢٥]
٢- [الذاريات: ٥٦]

الأولى: أنّ كفار قريش- مثلاً- وغيرهم ممن عبد الأصنام، ما عبدوها لأنها حجارة فقط؛ لا؛ بل عبدوها لأنها هي صور الصالحين؛ فهي تعبر عن الصالحين؛ هي تماثيل لأولئك الصالحين كما صنع قوم نوح، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر؛ أسماء رجال صالحين، لما ماتوا صنعوا لهم التماثيل ثم عبدوا هذه التماثيل؛ إذاً هذا هو أصلها عندهم؛ فهم في الأساس إذاً يعبدون الصالحين؛ هذا الوجه الأول.

الوجه الثاني: أن المشركين الأولين ليسوا كلهم يعبدون الأصنام؛ وإنما منهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الملائكة أيضاً مباشرة دون واسطة التماثيل، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا}[1] لاحظ هنا ماذا قال بعدها؟ قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}[2]، انظر: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} الذين يعبدونهم هم أنفسهم- المعبودون- يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى ويطلبون منه الوسيلة، إذاً هم يعبدون الصالحين، وهؤلاء الصالحون يعبدون الله سبحانه وتعالى ويتوسلون إليه ويرجون رحمته ويخافون عذابه، وقال البعض: هذه الآية أصلاً نزلت في الذين كانوا يعبدون الملائكة والمسيح وعزيراً، وقيل بأنها نزلت في أناسٍ من العرب يعبدون الجن فأسلم الجن وبقي أولئك على شركهم، وأنتم تعرفون كيف أن النصارى عبدوا المسيح، قال الله سبحانه وتعالى {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[3]، لاحظ هنا {قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ

١- [الإسراء: ٥٦]

٢- [الإسراء: ٥٧]

٣- [المائدة: ٧٥]

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[1] ودليل الشرك بالملائكة قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ}[2]، انظر: هؤلاء كانوا يعبدون الملائكة- في زعمهم- لكن حقيقة الأمر أنهم كانوا يعبدون الجن؛ فهذا يبين لنا أنّ كفار المشركين القدامى ما كانوا جميعاً يعبدون الأصنام فقط؛ بل كانت تُعبَد الملائكة ويُعبَد الأنبياء ويُعبَد الصالحون؛ فهل بقيت شبهة؟ ما بقيت شبهة؛ انتهى الأمر.

قال: **(فإنه إذا أقَرَّ أنَّ الكفارَ يَشْهَدونَ بالربوبية كلها لله، وأنَّهم ما أرادوا مِمَّنْ قصدوا إلا الشفاعةَ، ولكن أراد أنْ يُفَرِّقَ بينَ فِعْلِهم وفِعْلِهِ بما ذَكَرَ؛ فاذكر له: أنَّ الكفارَ منهم مَن يدعو الأصنامَ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ})**

وهنا لا زال يتكلم عن الشبهة السابقة ولم يدخل في الكلام عن الشبهة الثالثة

قال: **(ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ})**

وقد قرأنا لكم هذه الآية.

قال: **(واذكر له {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ})**

١- [المائدة: ٧٦]

٢- [سبأ: ٤٠-٤١]

وقرأنا هذه الآية أيضاً.

قال: (وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}[1]؛ فقل له: عرفتَ أنَّ اللهَ كَفَّرَ من قَصَدَ الأصنامَ، وَكَفَّرَ أيضاً منْ قَصَدَ الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ)

هذه تتمة الشبهة الثانية.

(فإن قال: الكفارُ يريدونَ منهم، وأنا أشهدُ أنَّ اللهَ هوَ النَّافِعُ الضارُّ المُدَبِّرُ، لا أريدُ إلا مِنْهُ، والصَّالِحونَ ليْسَ لهم مِنَ الأمْرِ شيءٌ، ولكنْ أقْصِدُهُمْ؛ أرْجو مِنَ الله شَفاعَتَهُمْ)

هذه تتمة أو تفصيل لجزء من الشبهة الأولى؛ يعني: هنا يقول المشرك الذي يغلو في الصالحين ويتعلق بهم ويدعوهم من دون الله؛ يقول: الكفار كانوا يطلبون من أولئك الصالحين قضاء الحوائج؛ كشفاء المرضى مثلاً، والنصر على الأعداء، وإنجاب الولد، وغير ذلك؛ قال: وأنا أعلم أنّ الله تعالى هو النافع الضار وأنّ الصالحين ليس لهم من الأمر شيء وأنا لا أريد إلا الله؛ ولكني أتوجَّه إليهم أطلب من الله بشفاعتهم.

فما الجواب؟

قال المؤلف: (فالجواب: أنَّ هذا قولُ الكفارِ سواءٌ بسواءٍ)

أي: نفس قول الكفار.

قال: (واقرأ عليه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى})

١- [المائدة: ١١٦]

إذاً هم يعبدون أصنامهم وأوثانهم؛ كي يقربوهم الى الله سبحانه وتعالى؛ يعني: كي يشفعوا لهم عند الله.

قال: **(وقوله: {وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}[(١)])**

إذاً هذا نفس المقصد.

قال: **(واعلمْ أنَّ هذه الشبه الثلاث؛ هي أكبرُ ما عندهم)**

هذه هي الشبه الثلاثة وهذا جوابها بالتفصيل، وهذه الشبه هي أعظم شبهاتهم، إذاً ما عندهم شيء حقيقةً.

قال: **(فإذا عرفتَ أنَّ اللهَ وَضَّحها لنا في كتابه، وفَهِمْتَها فَهْماً جيِّداً؛ فما بَعْدَها أَيْسَرُ مِنْها)**

أي: الذي بعدها أسهل منها؛ خلاص هذه هي أعظم ثلاث شبهات عند القوم؛ وهي كما ترى واهية جداً جداً جداً.

نكتفي اليوم بهذا، ونكمل في الدرس القادم إن شاء الله.

١- [يونس: ١٨]

شرح كشف الشبهات

الدرس ٥

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد..

معنا اليوم الدرس الخامس من دروس شرح كشف الشبهات.

كنا قد تحدثنا في الدرس الماضي عن الشبهات التي ذكرها من يشرك بالله سبحانه وتعالى ويعبد الأولياء والصالحين، ذكر له بعض الشبهات، والشبهات التي ذكرناها في الدرس الماضي هي أهم الشبهات بالنسبة لهم، ويوجد أيضاً بعض الشبهات الأخرى؛ ذكرها المؤلف رحمه الله.

ومعنا اليوم واحدة من هذه الشبهات.

قال المؤلف رحمه الله: **(فإنْ قال: أنا لا أَعْبُدُ إلا الله، وهذا الالتِجاءُ إلى الصَّالحينَ ودُعاؤهم؛ ليس بعبادَةٍ)**

فقط هذه هي الشبهة؛ ما هي شبهته؟ يقول لك: أنا أعبد الله وحده.

لكن ما هذا الشيء الذي تفعله أنت مع الأولياء والصالحين؟ تلجأ اليهم، تدعوهم، تستغيث بهم، تستعين بهم في أشياء لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى وهم أموات؟ تستغيث بهم وتستعين بهم وتلجأ إليهم في أشياء لا يقدر عليها إلا رب العزة تبارك وتعالى وهم أموات؟ وتذبح لهم وتتقرب إليهم بأنواع القُرَبْ من النُّذُر وغيره؛ تفعل كل هذا وتقول لا أعبدهم؛ كيف هذا؟ وتقول بأني أعبد الله وحده كيف؟

الآن ماذا ستجيبه.

قال: **(فقل له: أنت تُقِرُّ أنَّ اللهَ فَرَضَ عليكَ إخْلاصَ العبادة للهِ، وهو حَقُّه عليكَ)**

إذاً هذه المقدمة؛ والمفروض أنه مُسلِّم بها؛ لأنه يقول لك: أنا لا أعبد إلا الله، إذاً الله سبحانه وتعالى قد أمرك بأن تخلص العبادة؛ يعني: أن تعبد الله سبحانه وتعالى تتقرب إليه بأنواع القُرب، وأن تجعل هذه العبادة خاصةً به ولا تصرفها لغيره؛ هذا معنى إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}[1]، {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[2]؛ إذاً لابد أن تكون العبادة خالصةً لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز صرفها لغير الله {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}[3]؛ إذاً أنت تُقِرّ معنا أنه يجب علينا أن نعبد الله سبحانه وتعالى، وأن نجعل العبادة خالصةً له، وألّا نصرف منها شيئاً لغيره.

إذن أين محل الخلاف بيننا وبينك؟ ما هي العبادة؟ هذا هو محل الخلاف الآن.

قال الشيخ: **(فإذا قال: نعم)**

لأنه هو يقر بهذا.

قال: **(فقل له: بيِّنْ لي هذا الذي فُرِضَ عليك؛ وهو إخلاصُ العبادةِ للهِ وحده؛ وهو حَقُّهُ عليك)**

أنت الآن تقول بأني لا أعبدها، وأنّ هذا الذي تفعله مع الأولياء والصالحين ليست عبادة؛ إذن بيِّن لي أنت العبادة التي أمَرك الله سبحانه وتعالى أن تكون خالصةً له؛ ما هي؟

١- [الزمر: ٣]

٢- في الصوتية: واعبدوا الله مخلصين له الدين؛ والمراد: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: ٥]

٣- [النساء: ٣٦]

قال: **(فإنْ كانَ لا يَعْرِفُ العِبادَةَ ولا أنْواعَها؛ فبيِّنها لهُ بقولك: قال الله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[1])**

يعني إذا كان لا يعرف حقيقة العبادة التي يجب إخلاصها لله؛ فبيّنْها له أنت، ما هي حقيقة العبادة؟ وأن كل ما أمَرَكَ الله تبارك وتعالى أن تتقرب إليه به؛ فهو عبادة، فما أمَر الله به من الدعاء والخوف والرجاء والصلاة والخضوع والحب والتعظيم لله تبارك وتعالى؛ هذا كله من العبادة، الخوف والرجاء والتوكل والدعاء والذبح والنذر؛ هذا كله عبادات؛ لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى أمَرك بها فقال: {ادْعُوا رَبَّكُمْ} فأمَر بالدعاء له، إذن نحن ندعوه نتقرب إليه بهذا الدعاء؛ أم لا؟

نعم طاعةً لله، خضوعاً وتذللاً له بهذا الدعاء.

فإذا قال لك: الدعاء ليس بعبادة؛ فقل له: قال الله تبارك وتعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[2]؛ وهذه الآية واضحة وضوح الشمس، ماذا قال؟ قال: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}؛ بماذا أمَرك؟ بالدعاء، وقال لك: إذا دعوتني أستجيب لك؛ ثم قال: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ} عن ماذا؟ {عَنْ عِبَادَتِي}؛ فهل سمى الدعاء عبادة أم لا؟ نعم سماها عبادة؛ قربى إلى الله سبحانه وتعالى، {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، إنّ الذين يستكبرون عن دعاء الخضوع والتذلل لله سبحانه محبةً وتعظيماً، هذه عبادة؛ فيجب أن تكون لله وحده وألا يُصرف منها شيءٌ لغيره.

١- [الأعراف: ٥٥]

٢- [غافر: ٦٠]

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة"[1]، وأما: "الدعاء مخ العبادة"؛ فضعيف؛ لكنْ هذا الحديث يغني عنه، الصحيح "الدعاء هو العبادة" فجعله عليه الصلاة والسلام عبادة، وقد أمَر الله سبحانه وتعالى عباده بدعائه في آياتٍ كثيرة؛ منها هذه التي ذكرها المؤلف: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، وأثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يدعونه فقال: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}[2]، وقال: {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}[3]؛ فأمَر بالدعاء وأثنى على عباده بأنهم يدعونه وسمى الدعاء عبادة.

قال: **(فإذا أَعْلَمْتَهُ بهذا؛ فقل له: هل علمتَ هذا عبادة لله تعالى؟ فلا بُدَّ أنْ يقولَ: نعم، والدُّعاءُ مُخُّ العِبادَةِ)**

طبعاً لابد أن يقول نعم؛ بناءً على أدلة واضحة صريحة.

وقلنا: "الدعاء مخ العبادة"؛ هذا الحديث ضعيف؛ لكن الصحيح حديث "الدعاء هو العبادة".

قال: **(فقل له: إذا أَقْرَرْتَ أنها عِبادَةٌ، ودَعَوْتَ اللهَ ليلاً ونهاراً، خَوْفاً وَطَمَعاً، ثم دَعَوْتَ في تِلْكَ الحاجَةِ نبيّاً أو غيرَهُ؛ هل أَشْرَكْتَ في عِبادَةِ الله غيرَهُ)**

يعني: دعوت الله سبحانه وتعالى وتضرعت إليه أن يكشف عنك الكرب، أو أن يَمُنَّ عليك بنعمة من رزقٍ أو ولدٍ أو مطرٍ؛ أو غير ذلك، ثم أتيت إلى وليٍ ودعوته بنفس الدعاء وبنفس الطريقة؛ فماذا يكون هذا؟ أهذا شرك أم ليس بشرك؟ ألا تكون عندئذٍ

١- أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
٢- [الروم: ١٦]
٣- [الأنبياء: ٩٠]

قد فعلت عبادة تقربت بها إلى الله، وأخذت هذه العبادة وتقربت بها إلى هذا الولي؟ ألم تكن في هذه الحالة قد أشركت وعبدت غير الله معه؟ هذه هي النتيجة.

قال: وإذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره؛ أيَّ واحدٍ من الأولياء الصالحين؛ صرفت له نفس الدعاء؛ هل أشركت في عبادة الله غيره أم لا؟

قال: **(فلا بُدَّ أَنْ يَقولَ: نعم؛ فقل له: فإذا علمتَ بقول الله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}[1]، وأَطَعْتَ اللهَ ونَحَرْتَ لهُ؛ هل هذه عبادة؟)**

انتقلَ إلى أمرٍ آخر غير الدعاء، أما الدعاء فقد تقرر عندنا وانتهى أمره، فالدعاء عبادة وقربة الى الله سبحانه وتعالى قد أمر الله سبحانه وتعالى به وسمّاه عبادة وأثنى على الذين يدعون؛ هذا كله يثبت لك أنه قربة نتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى؛ وهذا ما يسمى بدعاء المسألة؛ هذا بالنسبة للدعاء وهو نوعٌ من أنواع العبادة.

نوع آخر يريد المؤلف الآن أن يتحدث عنه؛

قال: فلا بد أن يقول نعم، فقل له: فإذا علمت بقول الله تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ})؛ فهنا أمرٌ بالصلاة وبالنحر، والنحر مثل الذبح؛ فيقول: فإذا أطعت الله ونحرت له؛ أتيت بجمل ونحرته لله سبحانه وتعالى، تتقرب به إلى الله تبارك وتعالى؛ طاعةً لله لأنه أمرك بالنحر؛ إذاً فهو عبادة، وأنت تقربت إلى الله سبحانه وتعالى بهذا العمل؛ فهل هذه عبادة أم ليست عبادة؟ هي طبعاً عبادة، أمر الله سبحانه وتعالى بها وأنت تفعلها خضوعاً وتذللاً لله سبحانه وتعالى، وطاعةً له.

١- [الكوثر: ٢]

قال: **(فلا بُدَّ أن يقول: نعم)**

وقد قال النبي ﷺ: "لعن الله من ذبح لغير الله"[1]؛ إذاً الذبح يكون لله أم لا؟ وحده أم لا؟ واضح جداً؛ الذبح عبادة وقربة، النحر قربة؛ عبادة لله سبحانه وتعالى، وصرفه لغير الله شرك.

قال: **(فقل له: إذا نَحَرْتَ لمخلوقٍ- نبيٍ أو جنيٍ أو غيرهما-؛ هل أشركتَ في هذه العبادة غير الله؟ فلا بُدَّ أن يُقِرَّ ويقول: نعم)**

نفس الذي فعلناه ونفعله نحن مع الله سبحانه وتعالى، هو يذهب ويفعله مع الوليّ؛ هذا هو الشرك، نحن عندما نريد أن نتعبد ونتقرب إلى الله سبحانه وتعالى كيف نتقرب؟ ندعو الله سبحانه وتعالى ونخضع ونتضرع له ونذبح له وننذر له تبارك وتعالى؛ وغير ذلك، خوف خضوع توكل؛ كل هذا لله سبحانه وتعالى؛ فإذا ذهبنا وفعلناه لغير الله؛ إذاً أشركنا مع الله غيره؛ الأمر واضح؛ هذا معنى الشرك، وهذا معنى صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

قال: **(وقل له: أيضاً المشركون الذين نزل فيهم القرآنُ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم)**

هؤلاء- كما تقدم معنا- كانوا يعبدون ويتقربون إلى الأنبياء وإلى الملائكة وإلى الجن وإلى الأصنام؛ وغير ذلك.

قال: **(فقل له: وهل كانت عِبادَتُهم إيَّاهُمْ إلا في الدُّعاءِ والذَّبْحِ والالتِجاءِ؛ ونحو ذلك؟)**

يعني هذا ما كانوا يعبدونه، كيف كانوا يعبدون هذه الأصنام والأوثان؟

١- أخرجه مسلم (١٩٧٨) عن علي رضي الله عنه.

كانوا يدعونها ويذبحون لها ويتضرعون لها؛ وهذا موجود في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ؛ أنهم كانوا يفعلون العبادة للأصنام والملائكة وغيرهم بهذه الطريقة.

قال: **(وإلا فهم يُقرّونَ أنَّهم عَبيدُه، وتَحْتَ قَهْرِهِ)**

هم يُقرُّون بأنهم عبيد لله سبحانه وتعالى وتحت قهر الله سبحانه وتعالى.

قال: **(وأنَّ الله هو الذي يدبِّرُ الأمْرَ، ولكن دَعَوْهُمْ والتَجَأوا إليهم للجاه والشفاعة)**

دعوا الأولياء والملائكة والجن وغيرهم؛ ماذا كانوا يريدون؟ يريدون الشفاعة كما تقدم.

قال: **(وهذا ظاهرٌ جداً)**

يقول المؤلف رحمه الله: هذا أمر واضح وجلي للغاية.

ثم انتقل الشيخ رحمه الله بعد ذلك إلى شبهة خامسة؛ فقال الشيخ رحمه الله:

(فإن قال: أتُنْكِرُ شفاعة رسول الله ﷺ، وتبرأ منها؟)

هذا الكلام الآن عبارة عن تشغيب وتشويش؛ هو قد خُصِمَ في السابق والآن انتقل إلى هذه؛ كأنه يقول لك: أنت عندما تهاني عن عبادة الأولياء وعبادة النبي ﷺ ودعائه والتضرع إليه؛ كأنك تنكر أنه يشفع لي، فأنا أفعل ذلك معه؛ لأنه يشفع لي؛ هكذا يوهم الآن في سؤالك؛ فيقول لك: (أتُنكر شفاعة النبي ﷺ وتبرأ منها؟)

ونحن مشكلتنا معه ليست في إنكار شفاعة النبي ﷺ، كونه لا يوجد شفاعة للنبي ﷺ، لا؛ فالشفاعة موجودة ونقرّ بها؛ لكن لها شروط، وعندما تريد الشفاعة- شفاعة النبي ﷺ- لا تطلبها بعبادة غير الله سبحانه وتعالى وبصرف العبادة للنبي ﷺ أو لغيره؛ لا؛ هذا ما كان يفعله كفار قريش مع أوليائهم؛ إذا أردت شفاعة النبي ﷺ؛ فعليك

بالتوحيد؛ هكذا تطلب الشفاعة إذا أردتها، تطلبها من الله سبحانه وتعالى وبالتوحيد؛ هكذا تكون الشفاعة، ولا تطلبها من النبي ﷺ بعبادته والتضرع إليه؛ هذا شرك.

قال: **(فقل له: لا أُنكِرُها)**

إذاً نحن لا ننكر شفاعة النبي ﷺ؛ فهي حق.

قال: **(ولا أتبرأ منها)**

نعوذ بالله أن نتبرأ من شيءٍ ثابت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ بأحاديث كثيرة.

قال: **(بل هو ﷺ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ)**

هو شافع وربنا سبحانه وتعالى سيُشَفِّعه في الخلق؛ هذا أمر مقرر.

قال: **(وأرجو شفاعته)**

نحن نرجو جميعاً شفاعة النبي ﷺ بالتوحيد، نحقق التوحيد فنرجو شفاعة النبي ﷺ، ولكن الشفاعة كلها لله تبارك وتعالى، الشفاعة لله إذاً تطلب مِنَ الله سبحانه وتعالى.

قال: **(كما قال تعالى {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}[1]، ولا تكون إلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللهِ؛ كما قال عز وجل: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}[2])**

إذاً هذا شرط؛ شفاعة مملوكة لله سبحانه وتعالى وليست كشفاعة الخلق فيما بينهم، شفاعة الخلق فيما بينهم عندما تريد واسطة عند شخص تذهب وتأتي بآخر؛ سواءً كان أذِن أم لم يأذن، رضي أم لم يرضَ- ليس مهماً- تأتي بالآخر هذا؛ لتقبل شفاعته عنده،

١- [الزمر: ٤٤]

٢- [البقرة: ٢٥٥]

ويتوسط لك وتأخذ حاجتك، وهذا الشخص الثاني يذهب معك حتى لو ما أذن ذاك ولا رضي، فيجبره على الشيء؛ لا مشكلة؛ لأن له مصالح أو غير ذلك تضطره إلى أن يقبل؛ هذه الشفاعة التي بين الخلق؛ لكن هذه ليست عند الله سبحانه وتعالى؛ الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى مشروطة بشرطين:

الشرط الأول: أن يأذن الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}؛ فلا بد من إذن الله سبحانه وتعالى، إذاً لا بد أن يأذن للشافع أن يشفع، يعني حتى النبي ﷺ إذا أراد أن يشفع؛ لا يستطيع أن يشفع إلا أن يأذن الله له؛ كما جاء في الحديث[1]: أنّ النبي ﷺ في الموقف لمّا يريد أن يشفع يأتيه الناس ويقولون: اشفع لنا؛ فيذهب إلى الله سبحانه وتعالى ويسجد ويدعو بدعوات ويُسبِّح، إلى أن يأذن الله سبحانه وتعالى له حتى يشفع.

قال المؤلف: **(ولا يشفع في أحدٍ إلا بعد أن يأذن الله فيه، كما قال عز وجل: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}**[2]

وهذا الشرط الثاني؛ وهو الرضا عن المشفوع أنْ يُشفَع فيه، يعني قد بيَّن لك النبي ﷺ كما جاء في حديث أبي هريرة: "من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه"[3]؛ هذا هو الذي يستحق شفاعة النبي ﷺ، إذاً الشرط الثاني: هو رضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع فيه أن يُشفع فيه، والله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يُشفع في مشركٍ، صرَف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى؛ حتى ولو صرفها للنبي

١- أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

٢- [الأنبياء: ٢٨]

٣- أخرجه البخاري (٩٩).

ﷺ من أجل أن يطلب شفاعته؛ لا يرضى بهذا أبداً؛ الذي يستحق شفاعة النبي ﷺ هو المُوحِّد، فأنت تحرص على الشفاعة بالتوحيد، وبطلبها من رب العزة تبارك وتعالى الذي يملكها.

قال: **(وهو لا يرضى إلا التوحيد)**

كما بين النبي ﷺ أن الشفاعة تكون لأهل التوحيد؛ أمّا الكفار فلا شفاعة لهم.

قال: **(كما قال عز وجل: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}[1]، فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحدٍ حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد؛ تَبيَّن لك أنّ الشفاعة كلها لله؛ فاطلبها منه؛ فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شَفِّعْه فيَّ؛ وأمثال هذا)**

إذاً ممّن تُطلَب؟ من النبي ﷺ؟ لا؛ إنما تُطلَب من الله سبحانه وتعالى.

يعني تدعو الله سبحانه وتعالى: اللهم شفِّع فيَّ؛ أي: نبيك؛ لا مشكلة في هذا، لكن لا تذهب وتدعو النبي ﷺ وتعبد النبي ﷺ من أجل أن يشفع لك؛ هكذا لا فرق بينك وبين المشركين- مشركي قريش-؛ فالمشكلة ليست في كون النبي ﷺ لا يشفع؛ نحن نعلم أنّه يشفع؛ لكن المشكلة أنك طلبتها ممن لا يملكها أولاً، ثم: ثانياً أنت عبدته كي يقربك إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: (تبين لك أن الشفاعة كلها لله؛ فاطلبها منه، فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيَّ؛ وأمثال هذا) هكذا يكون طلبة الشفاعة.

قال: **(فإن قال: النبي ﷺ أُعطِيَ الشَّفاعَةَ، وأنا أَطْلُبُهُ مما أعْطاهُ الله.**

١- [آل عمران: ٨٥]

فالجواب: أنَّ الله أعطاه الشفاعةَ، ونهاكَ عن هذا)

يعني: نسلِّم لك بالجزء الأول الذي ذكرته؛ فقلت النبي ﷺ أُعطِي الشفاعة؛ فنقول لك: نعم قد أُعطِي النبي ﷺ الشفاعة.

ثم: تقول وأنا أطلبه مما أعطاه الله؛ فنقول لك: وقد نهاك الله سبحانه وتعالى عن هذا؛ إذاً نسلم بالأول، ونمنع الثاني؛ فنقول: إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا؛

قال: **(فقال: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}[1])**

وأنت عندما تطلب الشفاعة من النبي ﷺ تدعوه وتطلبها منه، وطلبك من الله شفاعة نبيه عبادة، والله نهاك أن تشرك في هذه العبادة أحداً.

قال: **(فإذا كنتَ تدعو الله أن يشفِّعَ نبيه فيك؛ فأَطِعْهُ في قوله: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، وأيضاً: فإنَّ الشفاعة أُعْطِيها غير النبي ﷺ؛ فَصَحَّ أنَّ الملائكةَ يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون[2]؛ أتقول: إنَّ الله أعطاهم الشفاعة؛ فأطلبها منهم)**

الأفراط الذين هم الأطفال.

١- [الجن: ١٨]

٢- أخرج البخاري(١٠١ و١٠٢)، ومسلم (١٥٢ و١٥٣) في "صحيحيهما" عن أبي سعيد وأبي هريرة؛ قالت النساء للنبي ﷺ: (غَلبنا عليك الرجال فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ»

وفي رواية النسائي عن أبي هريرة (١٨٧٦) عن النبي ﷺ قال: "ما من مُسْلِمَيْن يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث؛ إلا أدخلها الله بفضل رحمته إيَّاهم الجنة"، قال: "يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون حتى يدخل أباؤنا، فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وأباؤكم".

يعني: الأطفال يشفعون؛ هل تطلب الشفاعة أيضاً من الاطفال ومن غيرهم؟

قال: **(فإن قلت هذا؛ رجعتَ إلى عِبادَةِ الصَّالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإنْ قُلْتَ: لا؛ بَطَلَ قولُكَ: أعطاه الله الشفاعةَ، وأنا أطلبه مما أعطاه الله)**

اذاً هذا هو رد هذا الذي ذكره: (فإنّ النبي ﷺ أُعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله)؛ وهذه شبهةٌ أخرى ردها المؤلف رحمه الله أيضاً بما ذكر.

وفي النهاية نحن أهل التوحيد نُقِرُّ بشفاعة هؤلاء كلهم؛ ولكننا نؤمن بالله ونرجو ذلك ولا نتوجه بالدعاء والخوف والرجاء والرغبة... إلى آخره؛ إلا لله سبحانه وتعالى ولا نستغيث إلا به.

والله أعلم، ونكتفي بهذا القدر. والحمد لله.

شرح كشف الشبهات

الدرس ٦

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

معنا اليوم الدرس السادس من دروس شرح كشف الشبهات.

وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله: **(فإن قالَ: أنا لا أُشْرِكُ باللهِ شيئاً؛ حاشا وكلا)**

يعني صاحب الشبهة.

يتحدث المؤلف عن شبهات يذكرها بعض الذين يعبدون غير الله سبحانه وتعالى من أصحاب عبادة الأوثان، الذين يعبدون الأولياء الصالحين ويعبدون القبور.

قال: (فإن قال) - أي: هذا الذي يعبد القبور-: (أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا) الآن هو ينكر أنه يشرك؛ أي: ينكر أنه يعبد غير الله سبحانه وتعالى.

قال: **(ولكنَّ الالتِجاءَ إلى الصَّالحينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ)**

هذا هو موضوعه الآن؛ أين شبهته؟ شبهته: أنه لا يعلم ما هو الشرك؛ هذه مشكلة، هذا الشخص عندما يقول لك: أنا لا أشرك، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؛ إذاً هو لا يفهم ما هو الشرك.

لذلك قال المؤلف: **(فَقُلْ له: إذا كُنْتَ تُقِرُّ أنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْريمِ الزِّنا)**

أكيد هو يقر بهذا.

قال: **(وتُقِرُّ أنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ)**

يعني: الشرك؛ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}[1] إذن أكيد هو يقر بهذا.

قال: **(فما هذا الأمرُ الذي حرَّمَهُ اللهُ، وذَكَرَ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ؟ فإِنَّهُ لا يَدْري)**

يعني الآن وجّه له سؤالاً فقل له: تُقِرّ بأنّ الله حرّم الشرك أعظم من تحريمه الزنا؟ يقول لك: نعم، طيب تُقِرّ أنّ الله لا يغفر الشرك؟ يقول لك: نعم، قل له: طيب ما هو هذا الشرك الذي حرمه الله أعظم من تحريم الزنا والذي لا يغفره الله؟ يعني عرِّف لي الشرك، أفهمني ما هو الشرك الذي أنت نفيته عن نفسك سابقاً؟ تقول: أنا لا أشرك لكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؛ إذن عرِّف لي الشرك.

قال: فإنه لا يدري؛ ما هو الشرك؛ هو لا يعرف الشرك؛ لأنه لو عرف ما هو الشرك لما قال: إن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

قال: **(فقل له: كيفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وأنتَ لا تَعْرِفُهُ؟)**

يعني: أنت لا تعرف الشيء؛ فكيف تعرف هل أنت واقع فيه أم لا؛ وانت لا تعرفه؟ وهذا من خطورة الجهل بالشرك وعدم العلم والمعرفة به؛ خطورته أنك تقع فيه وأنت لا تدري؛ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: متى تنقض عرى الإسلام؟ قال: إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية؛ لماذا؟ لأنهم سيقعون في الجاهلية وهم لا يعرفون أنهم مثل أبي جهل وأبي لهب، هم يذمّون أبا جهل وأبا لهب ولا يحبونهم؛ لكنهم يفعلون فعلهم، وهم لا يدرون؛ لأنهم لا يعرفون ما الذي كان يفعله أبو جهل؟ ولماذا قاتل النبي ﷺ أبا جهل؟ ولماذا قاتل أبو جهل النبي ﷺ؛ وعلى ماذا؟ لا يعرفون هذه الأشياء؛ فلذلك وقعوا في الشرك؛ وهذه خطورة الجهل بالشرك؛ فقل له: كيف تُبريء

١- [النساء: ٤٨]

نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ إذن لا بدّ أن تعرف ما هو الشرك؛ حتى تعلم هل أنت واقع فيه أم لا؟

قال: **(أم كيف يُحَرِّمُ اللهُ عليكَ هذا، ويَذْكُرُ أنَّهُ لا يَغْفِرُهُ؛ ولا تسألُ عنه ولا تَعْرِفُهُ؟)**

ما يجوز، لا يجوز أن تبقى جاهلاً بأصل الإسلام؛ التوحيد، يجب عليك أن تتعلم التوحيد كي تعمل به، وتتعلم الشرك كي تتركه وتفرّ منه؛ فطلبُ العلم هذا واجب- معرفة أصل دينك-؛ هذا واجب.

قال: **(أتظنُّ أنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ ولا يُبَيِّنُهُ لنا؟)**

مستحيل؛ الله سبحانه وتعالى قد بيَّن لنا كل شيء من أمور الشريعة، حتى قال اليهودي لسلمان الفارسي: لقد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، فقال له سلمان: (أجل؛ لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول...)[1]، كل شيء علمَناه ﷺ؛ فكيف لا يُعَلِّمنا أصل ما جاء به عليه الصلاة والسلام وبقي ثلاثة عشر سنة في مكة وهو يُعلِّم الناس التوحيد وضده الشرك، فكان يُبيّن لهم التوحيد ويُبيّن لهم الشرك؛ لكن الإشكال يأتي من تقصيرنا نحن، الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه على نبيه ﷺ وأخذ عليه أن يُبيّنه للناس ويُبيّن لهم أمور الشريعة كاملة، وقد بُيِّنَت أحسن بيان، من يبقى جاهلاً بعد ذلك؛ فبتقصيره هو؛ وإلا كُلُّ شيء واضح، والعلم الآن- الحمد لله- متوفر بين يديك؛ ما الذي يجعلك تتركه وتعرض عنه؟ إنه تقصيرك؛ تقصيرك هذا يمكن أن يخلدك في نار جهنم إذا لم تتعلم التوحيد، وإذا لم تعرف الشرك وتفرَّ منه، لا تكون معذوراً لأنك مُقصِّر، وأنت مأمورٌ بطلب العلم ومعرفة ما يجب عليك من أمور دينك، يعني لا تتصور أبداً أنّ الله سبحانه وتعالى لم يُبيِّن لك ما هو التوحيد وما هو

١- أخرجه مسلم (٢٦٢).

الشرك، وما الذي يريده منك وما الذي لا يريده منك؛ لا تتصور هذا؛ كله مبين واضح في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ، وبقي عليك التعلم.

قال: **(فإن قال: الشِّرْكُ عِبادَةُ الأصنامِ، ونحنُ لا نَعْبُدُ الأصْنامَ)**

وهذا الجواب هو الموجود في أذهان الكثير من الناس، تأتي تكلمه وتسأله: ما هو الشرك؟ يقول: هو عبادة الاصنام، وأنا لا أعبد الاصنام؛ إذن خلاص انتهى هو لا يُشرك؛ يعني: لو عبد أي شيء غيرها بعد ذلك؛ فلا مشكلة؛ المهم أنه لا يعبد الصنم فقط؛ هذه مصيبة، هذا الفهم للشرك مصيبة؛ لأنه سيؤدي إلى أن تجتنب- إذا كنت حريصاً على التوحيد، وهذا هو علمك في التوحيد- ستجتنب عبادة الأصنام؛ لكنك ستذهب وتعبد الحجر وتعبد الشجر وتعبد الجن وتعبد الملائكة وتعبد الأنبياء وتعبد الأولياء؛ لا مشكلة؛ لماذا؟ لأنك لا تعرف أنّ هذا شرك؛ وهذا هو القائم في أذهان الكثير من الناس اليوم، إذا سألته ما هو الشرك؟ يقول لك: عبادة الأصنام- هذا إذا عرف الإجابة طبعاً-، الذي يعرف الإجابة منهم سيقول لك: عبادة الأصنام.

لا؛ ليس فقط في الأصنام، ليس فقط هذه الحجارة المنحوتة على شكل ابن آدم- هذه هي الأصنام التي يتصورونها فقط-؛ لا ليست هذه فقط، هذه الحجارة المنحوتة على شكل ابن آدم هي أصلاً نُحِتَت على شكل إنسان وليٍّ، فأصلها أصلاً: وليٌّ، فأنت حين تعبدها؛ تعبد الأصل؛ تعبد الأولياء، فهذه الحجارة أصلها نُحِتت على شكل أولياء في قوم نوح، إذن أنت تعبد الأوثان، عبدتَ ولياً، عبدتَ شجراً، عبدتَ حجراً، عبدت صورة، عبدت تمثالاً، عبدتَ الشمس، عبدتَ القمر، عبدتَ الإنس، عبدتَ الجن؛ كل هذا يعتبَر شركاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا}[١] شيئاً: نكرة في سياق النهي؛ تفيد العموم؛ أي شيء، وقال: {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[٢] كل ما عُبِد من دون الله؛ يجب عليك أن تجتنبه، ولا يجوز لك أن تعبد مع الله غيره، فإذا فهمتَ هذا المعنى؛ عرفتَ الشرك، أمّا أن تحصر العبادة في الصنم فقط؛ فأنت ما عرفت الشرك.

قال المؤلف: **(فقل له: ما معنى: عبادةُ الأصنامِ؟ أتظُنُّ أنَّهُمْ يَعْتَقِدونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشابَ والأَحْجارَ تَخْلُقُ وتَرْزُقُ وتُدَبِّرَ أَمْرَ مَنْ دَعاها؟ فهذا يُكَذِّبُهُ القرآنُ)**

يعني يقول له المؤلف: صِف لي عبادة الأصنام التي ذكرتَ أنها شرك؛ هل تظن أن معنى عبادة الأصنام: أن هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها يعتقدون فيها أنها تَخلُق وترزُق وتدبِّر؟ يعني شركاً في الربوبية فقط؟ قال: (هذا يكذِّبه القرآن)؛ يعني ليس هذا المقصود، وقد تَقدَّمت معنا الآيات التي دلَّت على أنّ مشركي قريش الذين يعبدون الأصنام كانوا يعتقدون أنّ الله هو الخالق الرازق المدبِّر ولا يعتقدون أن هذه الأصنام هي التي تفعل ذلك؛ إذن ما هي عبادة الأصنام؟

قال: **(وإن قال: هو مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً أو حَجَراً أو بُنْيَةً على قَبْرٍ أو غيره، يَدْعونَ ذلكَ، ويَذْبَحونَ له، ويقولون: إنه يُقَرِّبنا إلى الله زُلفى، ويَدْفَعُ اللهُ عنا ببركَتِهِ، أو يُعْطينا ببركَتِهِ؛ فقل: صدقت)**

هذا هو الشرك؛ هذه هي عبادة غير الله، من قصد خشبةً أو حجراً أو بنية على قبر- أي شيء مبني على قبر- أو غيره، أي شيء من هذه الأشياء يقصدها يتقرب إليها بالذبح والدعاء والخضوع والتذلل لها، يدعونها، يتضرعون إليها، يذبحون لها، يستغيثون

١- [النساء: ٣٦]

٢- [النحل: ٣٦]

بها؛ يقولون نفعل ذلك لأنها تقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركتها أو يعطينا ببركتها؛ نقول: صدقت هذه عبادتهم لها، هكذا كان يفعل كفار قريش مع أصنامهم؛ كانوا يذبحون لها ويتقربون إليها بأنواع القُرَب ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، قالوا: {ما نعبدهم}؛ طيب كيف كانت عبادتهم لها؟ كانوا يذبحون لها ينذرون لها يستغيثون بها؛ هكذا كانوا يصنعون؛ هذه هي عبادة الأصنام.

قال: **(وهذا هو فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأحجارِ والأَبْنِيَةِ التي على القُبورِ وغيرِها)**

إذن أنتم أنفسكم مشركون؛ فتفعلون مع هذه الأبنية والأحجار التي على القبور وغيرها نفس ما كان يفعل أبو جهل وأبو لهب عند الأصنام في مكة؛ نفس الشيء.

قال: **(فهذا أقَرَّ أن فِعْلَهُمْ هذا هو عِبادَةُ الأصنامِ؛ فهوَ المَطْلوبُ)**

إذا اعترف بهذه الجزئية الأخيرة؛ فهذا أقرَّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام؛ فهذا المطلوب وهو الذي نريد؛ وهكذا يكون النقاش معهم في هذا الأمر.

ثم جواب آخر:

قال: **(ويقال له- أيضاً-: قَوْلُكَ: الشركُ عبادةُ الأصنامِ؛ هلْ مُرادُكَ أنَّ الشِّركَ مخصوصٌ بهذا؟ وأنَّ الاعتمادَ على الصَّالِحِينَ ودُعاءَهُمْ لا يَدْخُلُ في ذلك؟)**

وهذا الجواب الذي بدأنا به؛ يعني: أنت الآن تتصور أنّ عبادة الأصنام محصورة في الأصنام فقط؛ أما الاعتماد على الصالحين ودعاؤهم والتقرب إليهم لا يعتبر عبادة؟

قال: **(فهذا يَرُدُّه ما ذكرَ اللهُ في كِتابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ على الملائكةِ أو عيسى أو الصَّالِحِينَ)**

وقد تقدم معنا هذا وبيّنّا في بداية رد الشبهة أنّ بعض من قاتلهم الأنبياء على الشرك كانوا يعبدون الجن والملائكة والإنس... إلخ.

قال: **(فلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لك: أَنَّ مَنْ أشركَ في عبادةِ الله أَحَداً من الصالحين؛ فهو الشِّرْكُ المذكورُ في القرآن؛ وهذا هوَ المَطْلوبُ)**

وهذا الجواب نفسه تَقَدَّم.

قال: **(وسِرُّ المسألة)**

يعني لب الموضوع وخلاصته

قال: **(أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله؛ فقل له: وما الشرك بالله؛ فَسِّرْهُ لي؟)**

هذه خلاصة الموضوع، إذا قال لك: أنا لا أشرك بالله، طيب عرِّف لي الشرك، ما هو الشرك؟

قال: **(فإن قال: هو عبادة الأصنام؛ فقل: وما معنى عبادة الاصنام؟ فسِّرْها لي، فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله؛ فقل: ما معنى عبادة الله؛ فسِّرْها لي؟ فإن فسَّرَها بما بيَّنَه القرآن؛ فهو المطلوب)**

ما معنى عبادة الله؟ أن نخضع ونتذلل بين يدي الله تبارك وتعالى، عبادة الله؛ كمال الخضوع والتذلل بين يدي الله تبارك وتعالى بما شرع؛ الذبح لله، النذر لله، الدعاء لله تبارك وتعالى، الاستغاثة بالله... إلى آخره؛ هذا كله الذي نفعله مع الله تبارك وتعالى هذه عبادات لله، إذا صرفناها لغيره فهذا هو الشرك، هذا معنى العبادة، أمرها سهل واضحة، أنت عندما تقوم تصلي تسجد وتركع ماذا تفعل؟ تعبد الله؛ هذه العبادة، عندما تتصدق وتزكي، ترفع يديك وتدعو، تستغيث: يا رب ارزقني يا رب اغثني؛

ماذا تفعل؟ تعبد الله سبحانه وتعالى، عندما تنذر لله سبحانه وتعالى نذراً؛ ماذا تفعل؟ عبادة تتعبد لله سبحانه وتعالى، عندما تحج وتطوف تتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، عندما تذبح تتقرب إلى الله تبارك وتعالى؛ هذه هي العبادة، فصرفها لغير الله؛ يعتبر شركاً؛ فقط الأمر سهل.

قال: **(وان لم يَعْرِفْهُ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي شيئاً وهو لا يَعْرِفُهُ)**

هذا غريب هذا سؤال تعجُّب

قال: **(وإن فسر ذلك بغير معناه؛ بيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان)**

كما تقدم

قال: **(وأنه الذي يَفْعَلونَهُ في هذا الزَّمانِ بِعَيْنِهِ)**

تذهب تجده عند الأضرحة، اذهب عند الأضرحة؛ ستجد نفس الذي يفعلونه، هذا الشرك؛ تجدهم يسجدون لها، رأيناها ورأيتموها، ومع انتشار هذه الفيديوهات القصيرة؛ صار الأمر واضحاً؛ صاروا يصورون أنفسهم وينشرون الصور، وانظر ماذا يفعلون: تمسح بها وسجود لها والطواف حولها والذبح لها؛ كله موجود، يذهبون إليها ويستغيثون بها: يا سيدي فلان ارزقني الولد، يا سيدي فلان حالتي كذا، يا سيدي فلان؛ استغاثة بغير الله سبحانه وتعالى، استعانة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو تبارك وتعالى، يجعلون هذا الولي بمنزلة رب العزة تبارك وتعالى فيشركون به معه؛ هذا الواقع حالياً، يعني إذا أردت باختصار أن تعرف الشرك؛ فاذهب وانظر ما الذي يحدث عند هذه الأضرحة وهذه القبور من هؤلاء المشركين، وإذا أردت أن تعرف ما هو التوحيد؛ فانظر إلى الموحِّد وهو يعبد الله على الكتاب والسنة؛ تعرف ما هو التوحيد، هذا

الذي يفعله قربة إلى الله سبحانه وتعالى؛ هذا هو التوحيد، فهو عبادة الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى العبادة وإفراد الله بهذا هو التوحيد.

قال: **(وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي يُنْكِرونَ علينا ويَصيحونَ فيه)**

هل جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب بشيءٍ جديد؟ أترون شيئاً جديداً جاء به؟ هو يأمرنا بأن نرجع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وإلى دعوة النبي ﷺ- دعوة التوحيد- ونبذ الشرك؛ هذا ما يطلبه منا جزاه الله خيراً على ما قدَّم، ويذكر لك: قال الله قال رسول الله ﷺ، ما يأتي بكلام غير مفهوم، ولا يخوض في الكلام ولا في غيره؛ لا؛ بل جاءك بآيات وأحاديث وكلام من السلف رضي الله عنهم، تجدونه كله في كتاب التوحيد، احكم بإنصاف ولا تكن إمَّعَة تسمع الكلام وتذهب وتضيع يوم القيامة ويتبرأ منك الكبراء الذين أضَلّوك- لا ينفعونك بشيء-، اقرأ وانظر؛ كم من عبدٍ كانوا يُلَبِّسون عليه ويغشونه ويخدعونه: (الوهابية، واحذر من الوهابية، ولا تقرأ في كتب الوهابية)، ولمّا قرأ، أراد الله له الهداية؛ قال: والله ما وجدتُ إلا قال الله، قال رسول الله ﷺ، وقال السلف الصالح رضي الله عنهم، وصار بعض هؤلاء أئمة، علماء أكابر بعد أن كاد الكبراء أولئك أن يُضِلوه، فهل ينفعه أن يأتي ويقول: ربنا اتّبعْنا سادتنا وكبراءنا؟ لا ينفعه هذا؛ خلاص يتبرأ منه أسياده، عندئذٍ لن ينفعوه شيئاً {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}[1] تبرؤوا منهم.

قال: **(كما صاح إخوانهم حيث قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[2])**

١- [البقرة: ١٦٦]

٢- [ص: ٥]

مَن إخوانهم؟ المشركون؛ مشركو قريش لما جاءهم النبي ﷺ وقال لهم: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"؛ ماذا أجابوه؟ قالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً والله هذا شيء عجيب؛ يعني: كيف جعلت الآلهة هذه كلها التي نتقرّب إليها ونعبدها؛ جعلتها إلهاً واحداً نتقرب إليه ونعبده؟ إنّ هذا لشيءٌ عجاب غريب يُتَعَجَّبُ منه، وهؤلاء فعلوا مثلهم، لما دعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك وترك عبادة الأولياء والقبور والأضرحة وصرف العبادة لله سبحانه وتعالى؛ قالوا جاء بدينٍ جديد، طبعاً أكيد بالنسبة لهم جاء بدينٍ جديد؛ لأنّ الدين الحق قد نُسِيَ، وتربى الصغير على الباطل ونشأ عليه فصار لا يعرف إلا هذا الشرك الذي هو عليه، فصار يرى التوحيد ديناً جديداً مخالفاً لما تربى عليه ونشأ عليه؛ لذلك احذر بأن تحكم على الشرع من خلال ما تربيت عليه؛ فربما تكون قد تربيت على باطل؛ خاصةً نحن في آخر الزمان؛ يعني قد مضى على النبوة أكثر من ألف وأربع مائة عام، نعم الحمد لله الدين محفوظ؛ لكن عليك أن تبحث وتنظر: هل ما تربَّيت عليه من هذا المحفوظ الذي بقي؟ أم قد اختلطت الأمور عند قومك ودخلوا في الشرك والبدع والضلالات؟ ابحث وانظر.

قال: **(فإذا عَرَفْتَ أنَّ هذا الذي يُسَمّيهِ المُشْرِكونَ في زماننا: كَبيرَ الاعْتِقادِ؛ هوَ الشِّرْكُ الذي نَزَلَ فيه القرآنُ، وقاتَلَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ عليهِ)**

فإذا عرفت؛ يعني: إذا علمت ما معنى العبادة، وأن ما عليه أولئك المشركون في زمانه رحمه الله هو ما كان المشركون عليه في عهد النبي ﷺ؛ عرفت أنّ شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي ﷺ من وجهين؛ كما قال.

(فإذا عرفت أنّ هذا الذي يسميه المشركون في زماننا كبير الاعتقاد)، الذي يسميه المشركون في زمنه الاعتقاد: "هو الشرك"؛ هو نفسه الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه.

قال: **(فاعْلَمْ أنَّ شِرْكَ الأوَّلينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زمانِنا بأمْرَيْنِ)**

يعني: الآن فهمت ما هو التوحيد وما هو الشرك؟ إذا عرفت هذا؛ فاعرف أنّ شرك المتأخرين الذين يعيشون بيننا اليوم أعظم من شرك أبي جهل ومن كان في زمنه، من أين هذا؟

قال بأمرين؛

(أحدُهُما: أنَّ الأوَّلينَ لا يُشْرِكونَ ولا يَدْعونَ الملائكةَ والأولياءَ والأوثانَ معَ اللهِ إلَّا في الرَّخاءِ، وأمَّا الشِّدَّة؛ فيُخْلِصونَ للهِ الدُّعاءَ)

هذا الفرق الأول؛ يعني: امتازَ المشركونَ الأوائلُ على المشركين المتأخرين، وكان المشركون المتأخرون أعظم شركاً من المشركين الأوائل بأمرين؛ الأول: هذا؛ وهو أن مشركي زمن الجاهلية كأبي جهل وأبي لهب ومن شابههم؛ كان شركهم في حال الرخاء في حال السعة وهم مرتاحون، وليسوا واقعين في ضيق، يعني: كانوا يشركون ويعبدون، لكن إذا وقعوا في ضيق وفي أزمة واحتاجوا إلى من يُعينهم؛ التجأوا إلى الله سبحانه وتعالى وحده، وحَّدوا عندئذٍ وتركوا الشرك في ذاك الموقف؛ ما الدليل على هذا الكلام؟

انظر كيف يأتي لك بالدليل

قال: **(كما قال الله تعالى {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}[1])**

١- [الإسراء: ٦٧]

انظر، الله سبحانه وتعالى يخاطب المشركين في زمن النبي ﷺ، إذا كانوا في البحر ركبوا في السفن وجاءت أمواج وخشوا على أنفسهم من الهلاك وما بقي عندهم إلا اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى؛ يلجؤون إليه وحده، يدعون الله مخلصين له الدين، لا يدعون غيره ولا يسألون سواه؛ قال: {فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ} فلمّا يُنجيهم الله سبحانه وتعالى إلى البر ويخلصهم من الأزمة التي كانوا فيها؛ يرجعون إلى شركهم {وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} إذاً هؤلاء كانوا يُوحِّدون في حال الشدة ويشركون في حال الرخاء، أما مشركو زماننا؛ فيشركون في الشدة وفي الرخاء، حتى في الشدة تجدهم يستغيثون بأوليائهم ولا يستغيثون بالله سبحانه وتعالى، ولعلكم تسمعون حين تحصل بعض النكبات: يا علي! يا عذراء! يا سيدي فلان! هكذا يكونون في أوج الأزمة، سمعنا هذا منهم في أوج الأزمة عندهم؛ وهذا شركهم، والموَحِّد يقول: يا الله؛ فانظروا الفرق بين هذا وهذا.

والآية الثانية التي تدل على ما قال المؤلف رحمه الله:

قال: **(وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ}[١]، وقوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} إلى قوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}[٢]، وقوله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[٣])**

كلها آيات بنفس المعنى؛ في الرخاء يشركون وفي الشدة يوَحِّدون.

١- [الأنعام: ٤٠-٤١]

٢- [الزمر: ٨]

٣- [لقمان:٣٢]

قال: (فمَنْ فَهِمَ هذهِ المسألَةَ التي وَضَّحَها اللهُ في كتابهِ؛ وهيَ أَنَّ المشركِينَ الذينَ قاتَلَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ يدعونَ اللهَ ويدعونَ غيرَهُ في الرَّخاءِ)

يعني بعيداً عن الشدة وعن الضراء والأزمة، وهم في سعة مرتاحون.

قال: (وأما في الضرَّاءِ والشِّدَّةِ؛ فلا يدعونَ إلا الله وحده لا شريك له، وينسونَ ساداتِهم)

الذين يعبدونهم في حال الرخاء؛ فمن فهم هذه المسألَةَ؛ قال:

(تَبَيَّنَ لهُ الفَرْقُ بينَ شِرْكِ أهْلِ زماننا وشرك الأولين؛ ولكنْ أينَ مَنْ يفهمُ قَلْبُهُ هذه المسألة فهْماً راسِخاً!؟ والله المستعان)

خلاص أنت إذا فهمتَ هذه المسألة؛ عرفت الفرق بين شرك أولئك وشرك هؤلاء.

قال: (الأمر الثاني:)

هذا الفرق الثاني بين شرك الأولين وشرك الآخِرين.

قال: (أَنَّ الأوَّلينَ يَدْعونَ مع اللهِ أُناساً مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ؛ إمَّا أنبياءَ وإما أولياءَ وإما ملائكةً أوْ يَدْعونَ أشجاراً أو أحجاراً مُطيعَةً للهِ، ليست عاصِيَةً)

يعني أولئك الأولون يتَّخذون آلهة من عباد الله الصالحين، أو على الأقل من الأحجار والأشجار التي تسبح لله سبحانه وتعالى.

قال: (وأهلُ زماننا يَدْعونَ معَ اللهِ أُناساً مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، والذينَ يَدْعونَهم هُمُ الذينَ يَحْكونَ عَنْهُم الفُجورَ مِنَ الزِّنا والسَّرِقَةِ وتَرْكِ الصَّلاةِ؛ وغيرِ ذلك)

طبعاً منهم من يعبد أيضاً الأولياء والأنبياء وغيرهم؛ لكن أيضاً تجد البعض يعبدون بعض الفسقة والفجرة ويجعلونهم أولياء- وهذا في غُلاة الصوفية كثير- ويزعمون أنّ هؤلاء أولياء؛ لكنهم يفعلون المعاصي ويفعلون هذه الأشياء؛ لأنّ هؤلاء قد سقط عنهم التكليف.

وعندهم شبهات وأشياء نسأل الله العافية والسلامة؛ لكن هذا من الفرق الذي ذكره المؤلف رحمه الله بين شرك الأولين والآخرين.

قال: **(والذي يعتقدُ في الصَّالِحِ أو الذي لا يَعْصي- مِثْلَ الخَشَبِ والحَجَرِ- أَهْوَُن مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فيمَنْ يُشاهِدُ فِسْقَهُ وفَسادَهُ ويَشْهَدُ به)**

فمع أنّ الجميع شرك، الكل شرك، الكل مشركون؛ لكن هؤلاء أهون قليلاً في هذه النقطة.

ونكتفي اليوم بهذا. والحمد لله.

شرح كشف الشبهات

الدرس ٧

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

وقفنا في شرح كتاب كشف الشبهات في الدرس الماضي وهو الدرس السادس عند قول المؤلف رحمه الله:

(إذا تحققتَ أنّ الذين قاتَلهم رسولُ الله ﷺ أصَحُّ عُقولاً وأخَفُّ شِرْكاً مِنْ هؤلاء)

يعني: المشركون في زمنه.

قال: **(فاعلم أنَّ لهؤلاء شُبْهَةً يوردونها على ما ذكرنا؛ وهي من أعظم شُبَهِهِمْ؛ فأصغِ سمعك لجوابها؛ وهي أنَّهم يقولون: إنَّ الذين نَزَلَ فيهم القرآنُ لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويُكَذِّبونَ الرسولَ ﷺ، وينكرونَ البَعْثَ، ويُكَذِّبونَ القرآنَ، ويجعلونه سِحْراً، ونحن نَشْهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونُصَدِّقُ بالقرآنِ، ونؤمنُ بالبَعْثِ، ونصلي ونصوم؛ فكيف تَجْعَلوننا مِثْلَ أولئك)**

هذه الشبهة، قال المؤلف: (هي من أعظم شبههم)؛ فالشبهة هي أنهم أثبتوا الفارق بينهم وبين المشركين الأُوَل، وجعلوا الفارق أنهم هم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا يُكَذِّبون الرسول ﷺ ولا ينكرون البعث ولا يُكَذِّبون القرآن ولا يجعلونه سحراً، وأولئك لا يفعلون ذلك؛ هذا هو الذي أوردوه من الشبهة؛ فكيف تجعلونهم أشدَّ شركاً من أولئك مع أنهم أفضل منهم في كل ما ذكروا؟

فأجاب الشيخ رحمه الله فقال: **(فالجواب: أنه لا خلافَ بين العلماءِ كلِّهِم: أنَّ الرجلَ إذا صدق رسول الله ﷺ في شيءٍ وكذَّبَهُ في شيء أنه كافرٌ لمْ يدخلْ في الإسلام، وكذلك**

اذا آمنَ ببعضِ القُرآنِ وجَحَدَ بَعْضَهُ؛ كَمَنْ أَقَرَّ بالتوحيدِ وجَحَدَ وجوبَ الصلاةِ، أو أَقَرَّ بالتوحيدِ والصلاةِ، وجحدَ وجوبَ الزَّكاةِ، أو أَقَرَّ بهذا كله، وجَحَدَ الصَّوْمَ، أو أقرَّ بهذا كله وجحدَ الحجَّ)

الآن الشبهة قامت على أنهم إذا كانوا هم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويُقرِّون بالبعث وبالقرآن... إلى آخره؛ فكيف يُكَفَّرونَ وتساوونهم أو تجعلونهم أشدّ شركاً من أولئك؟

فالجواب: أن العلماء أجمعوا أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول وكذب به فهو كمن كذب بالجميع وكفر به، ومن كفر بنبيٍ من الأنبياء فهو كمن كفر بجميع الأنبياء؛ هذا أمر مُجمَع عليه عند أهل العلم؛ فالإجماع هو الدليل على ذلك.

قال: (وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد ببعض) وهذا أيضاً منقول عليه الإجماع؛ كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (من جحد آية في كتاب الله فهو كافر- أو فهو كُفْرٌ)، ومثَّل المؤلف على الإيمان ببعض القرآن والجحد ببعضه فقال: (كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة)؛ هذا المثال الأول الذي ذكره: الصلاة، مَن أقَرَّ بالتوحيد وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأن الله سبحانه وتعالى واحد ولا يشرك معه في عبادته غيره، لكن أنكر وجوب الصلاة فقال الصلاة ليست واجبة؛ فهذا يكفر.

قال: (أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة) يعني آمن وأقَرّ بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والصلاة واجبة؛ لكن الزكاة ليست واجبة، وجحد وجوبها- كذَّب بوجوبها- هذا أيضاً يكفر؛ هذا المثال الثاني.

قال: (أو أقر بهذا كله) أي: بالتوحيد والصلاة والزكاة (وجحد الصوم) كذَّب بالصوم وقال الصوم ليس واجباً؛ كذلك يكفر.

قال: (أو أقر بهذا كله) التوحيد والصلاة والصوم (وجحد الحج) كذلك يكفر.

قال: **(ولما لم يَنْقَدْ أُناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج؛ أنزلَ اللهُ في حقهم: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[1])**

هذا دليل استدَلَّ به المؤلف على أن جحود وجوب الحج وحده يكفر به العبد؛ وهذه الآية دليل على ذلك.

هنا يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "قول المؤلف ولما لم ينقد أُناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم..) هذا؛ قال الشيخ: ظاهره أن للآية سبب نزول هو هذا؛ ولم أعلم لما ذكره الشيخ دليلاً". يعني على أنها سبب للنزول لكن الآية في دلالتها واضحة على المراد.

قال: **(ومَنْ أَقَرَّ بهذا كُلِّهِ وجَحَدَ البعثَ؛ كَفَرَ بالإجماعِ، وَحَلَّ دَمُهُ؛ كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}[2])**

أَقَرّ بالتوحيد وبوجوب الصلاة ووجوب الصيام وبوجوب الزكاة وبوجوب الحج، لكنه أنكر البعث بعد الموت؛ قال: كفر بالإجماع وحل دمه وماله.

١- [آل عمران: ٩٧]

٢- [النساء: ١٥٠-١٥١]

قال: **(فإذا كان اللهُ قَدْ صَرَّحَ في كتابهِ: أنَّ مَنْ آمَنَ ببعضٍ وكفرَ ببعضٍ؛ فهو الكافرُ حقاً؛ زالت هذه الشبهة)**

خلاص ما بقي شيء من الشبهة، إذ إنكم لو آمنتم بكل ما ذكرتم من وجوب الصلاة ووجوب الصيام ووجوب الحج وأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى وأن النبي ﷺ مرسل من عند الله ولكنكم أشركتم بعبادة غير الله سبحانه وتعالى معه- عبدتم غير الله معه-؛ تكونون قد كفرتم وخرجتم من ملة الإسلام؛ لأن الواجب أن تؤمنوا بكل ما أوجب الله سبحانه وتعالى الإيمان به، فهنا قد بيَّن في هذه الآية: أن من آمن ببعضٍ وكفر ببعض؛ أنه قد كفر؛ فقال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}.

قال المؤلف: **(وهذه التي ذَكَرَها بَعْضُ أهْلِ الأحْساءِ في كِتابهِ الذي أرسلَ إلينا)**

الظاهر أن أهل الإحساء- الذين هم في الجزيرة العربية من الناحية الشرقية؛ يعني في شرق السعودية اليوم- أرسَلوا للشيخ رسالة فيها هذه الشبهة؛ فرَدّ عليهم الشيخ بهذا الذي رَدَّهُ، والآية واضحة في دلالة هذه المسألة، والإجماع منعقد أيضاً على كل ما ذكر المؤلف سابقاً ونقل فيه الإجماع.

قال الشيخ: **(ويُقالُ أيضاً: إذا كنت تُقِرُّ أن مَن صدّق الرسول ﷺ في كل شيء وجحدَ وجوبَ الصَّلاةِ أنَّهُ كافرٌ حلالُ الدَّمِ والمالِ بالإجْماعِ)**

هذه مقدمة، إذا كنت تُقِرُّ بهذه المقدمة؛ لأن هذا أمر مُجمَع عليه.

والكلام هنا بارك الله فيكم في جحد وجوب الصلاة، وليس في الصلاة نفسها- في تأدية الصلاة-، فِعْلُ الصلاة نفسها هذه فيها خلاف معروف، شخص ترك الصلاة هل يكفر أم لا يكفر؟ هذه المسألة محل خلاف؛ لكن من جحد وجوب الصلاة؛ يعني: قال

الصلاة ليست واجبة؛ هذا محل إجماع بين العلماء بأنه يكفر؛ لأنه مكذب بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ التي دلَّت فيها الأدلة على وجوب الصلاة؛ فقال هنا: (إذا كنت تُقِرُّ) الخطاب لهذا المشرك الذي أورد هذه الشبهة؛ (إذا كنت تُقِرُّ أن من صَدَّقَ الرسولَ ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة أنه كافرٌ حلال الدم والمال بالإجماع)؛ أنت تُقِرُّ بهذه المقدمة؛ يقول لك نعم طيب:

(وكذلكَ إذا أَقَرَّ بِكُلِّ شيءٍ إلا البعث)

كذلك إذا أقَرَّ بكل أمور الدين التي ورد الإيمان بها- من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.. إلى آخره- لكنه لا يُقِرُّ بالبعث، فإذا فعل ذلك؛ يكفر ويخرج من ملة الإسلام، وأنت تُقِرُّ بهذا.

قال: **(وكذلكَ لَوْ جَحَدَ وُجوبَ صَوْمِ رَمضانَ، وَصَدَّقَ بذلك كله)**

أي: صدَّق بكل مسائل الإيمان؛ لكنه جحد وجوب الصوم.

قال: **(لا تختلفُ المذاهبُ فيه)**

يعني كل المذاهب متفقة والحمد لله، جميع المسلمين من أهل العلم متفقون على أن مثل هذا يكفر.

قال: **(وقدْ نَطَقَ بهِ القُرْآنُ كما قدمنا)**

يعني من آمن ببعض وكفر ببعض.

فإذا علمت هذه المقدمة؛ فأكمل معنا؛ قال:

(فمعلومٌ أنَّ التَّوْحيدَ هو أعْظَمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ)

هذا مُسلَّم به؛ أول ما جاء النبي ﷺ جاء بالتوحيد، وكانت دعوته ثلاثة عشر سنة في مكة وهو يدعو إلى التوحيد؛ وهذا لمكانة التوحيد، وبالتوحيد أصلاً يدخل الإنسان النار ويُخَلَّد فيها- أي: بنقضه- أو بالتوحيد يدخل الجنة ويُخَلَّد فيها، أي: بنقض التوحيد يدخل النار ويُخَلَّد فيها، وبتحقيق التوحيد يدخل الجنة ويُخَلَّد فيها، فالتوحيد هو الأصل الأول الذي جاء به النبي ﷺ.

قال: **(وهوَ أَعْظَمُ مِنَ الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِّ، فكيفَ إذا جَحَدَ الإنسانُ شيئاً مِنْ هذهِ الأمورِ كفر؛ ولو عَمِلَ بِكُلِّ ما جاءَ به الرسولُ ﷺ، وإذا جَحَدَ التوحيدَ الذي هوَ دينُ الرُّسُلِ كلهم لا يكفر؟!)**

هذا سؤال تعجُّب؛ يتعجب المؤلف كيف يكون هذا؟ هذا لا يكون، إذا كان الأصل الأول الذي جاء به النبي ﷺ وهو أعظم شيء في شريعة الله سبحانه وتعالى وهو التوحيد، إذا جحده أو نقضه، لا يكفر؛ بينما إذا جحد الصوم أو الصلاة أو كذا يكفر؟ كيف يكون هذا؟ هذا لا يكون أبداً؛ هذا تناقض.

قال: **(سبحان الله! ما أعجبَ هذا الجهلَ)**

هذا كلام المؤلف رحمه الله؛ يتعجب من جهل هؤلاء القوم، طبعاً البعض منهم جُهّال حقيقةً؛ لكن البعض يعلم لكنه يجحد الحق وينكره مع إقراره في نفسه بخلافه.

أجاب المؤلف بالجواب الأول عن هذه الشبهة؛ وهو الإيمان ببعض والكفر ببعض وذكر الآية، ثم الجواب الثاني؛ وهو: أنك إذا أقْرَرْتَ بأن من جحد الصلاة أو الصيام أو الزكاة بأنه يكفر مع إيمانه بكل شيء؛ فكيف بجحد التوحيد؟ والآن الجواب الثالث عن هذه الشبهة:

قال: **(ويقال- أيضاً- هؤلاءِ أصحابُ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة)**

بنو حنيفة هؤلاء قبيلة من قبائل العرب قاتلَهم أصحاب الرسول ﷺ بعد موت النبي ﷺ وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال: **(وقد أسلموا مع النبي ﷺ)**

أي: بنو حنيفة كانوا قد أسلموا مع النبي ﷺ.

قال: **(وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ويؤذنون ويصلون)**

هذا حال بني حنيفة: قاتلهم المسلمون- قاتلوا بني حنيفة وكان فيهم مسيلمة الكذاب وأصحابه- قاتلهم المسلمون واستحلوا دماءهم وأموالهم؛ مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون.

قال: **(فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمةَ نبيٌّ)**

أي: مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون؛ إذن لماذا قاتلهم المسلمون واستباحوا دماءهم وأموالهم؟

قال: (فإن قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبي)؛ هذا الإشكال؛ لذلك قاتلهم المسلمون؛ لأنهم يقولون إن مسيلمة الكذاب نبي، أثبَتوا نبياً مع النبي ﷺ.

قال: **(قلنا: هذا هو المطلوب)**

خلاص هذا الذي نريده منك؛ أن تعترف بهذا.

قال: **(إذا كان من رَفَعَ رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ؛ كفرَ وحَلَّ مالُه ودَمُهُ، ولمْ تَنْفَعْهُ الشهادتان ولا الصلاةُ؛ فكيفَ بِمَنْ رَفَعَ شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة**

جبارِ السماواتِ والأرض؛ سبحان الله ما أعظم شأنه! {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[1])

فهمنا الاستدلال الآن؛ هؤلاء أيضاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون؛ ومع ذلك استباح المسلمون دماءهم وأموالهم؛ لأنهم يقولون بأن مسيلمة نبي؛ إذاً هذا ردّ على شبهتكم أنكم تؤمنون بكذا وكذا وكذا؛ فكيف تُكَفِّروننا وكيف تقاتلوننا؟

فالرد على هذه الشبهة: أنكم أمثال هؤلاء، انظروا إلى هؤلاء أنتم أعظم منهم كُفراً، هم قد جعلوا نبياً مع نبينا ﷺ، وأنتم جعلتم شمسان أو يوسف أو جعلتم صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السماوات والأرض، في مرتبة رب العزة تبارك وتعالى؛ فعبدتم هذه الأشياء مع الله سبحانه؛ فعملكم هذا أعظم من عمل بني حنيفة هؤلاء؛ ولذلك تعجب المؤلف وقال: (سبحان الله ما أعظم شأنه! {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}).

وجواب آخر:

قال: **(ويقال أيضاً: الذين حَرَّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعونَ الإسلام، وهم من أصحابِ علي رضي الله عنه، وتعَلَّموا العلمَ مِنَ الصَّحابَةِ، ولكنْ اعْتَقَدوا في عليٍّ مثلَ الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالِها؛ فكيفَ أَجْمَعَ الصَّحابَةُ على قَتْلِهِمْ وكُفْرِهم؟ أتظنُّونَ أنَّ الصَّحابَةَ يُكَفِّرونَ المسلمين؟ أمْ تظنونَ أنَّ الاعتقاد في تاجٍ وأمْثالِهِ لا يَضُرُّ، والاعتقادُ في علي بن أبي طالب يُكَفِّر؟)**

١- [الروم: ٥٩]

جواب واضح واستدلال في محله؛ هؤلاء كفروا بتأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هذه فرقة من الشيعة الأُوَل الذين ألَّهُوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه خَدَّ الأخدود، وقال:

(لَمّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْراً كُبُرَّ   أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبرا)

وقنبر هذا مولاه، فلمّا رأى الأمر عظيماً وأنهم يقولون أنت أنت؛ يعني: أنت إله؛ شق الأخاديد وأشعل فيها النار وحرّقهم؛ لماذا؟ لأنهم كفروا، جعلوا علياً رضي الله عنه نِدّاً لله سبحانه وتعالى، فما قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بهذا وكفَّرهم، قتلهم شرّ قتلة، وأنتم حالكم كحالهم؛ فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ حكموا عليهم بهذا.

جواب آخر:

قال: **(ويقال أيضاً: بنو عبيدٍ القَدَّاح، الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس؛ كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويَدَّعونَ الإسلام، ويصلون الجُمعة والجماعة، فلمّا أظهروا مخالفة الشريعة في أشياءَ دون ما نحن فيه؛ أَجْمَعَ العلماءُ على كُفْرِهِمْ وقتالهم، وأَنَّ بلادَهم بلادُ حَرْبٍ، وغزاهم المسلمون؛ حتى استنقذوا ما بأيديهم من بُلْدانِ المسلمين)**

هؤلاء كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون الجمعة والجماعات ويدّعون أنهم مسلمون، ولكن ذلك لم يمنعهم من حكم المسلمين عليهم بالرِدّة؛ لأنهم خالفوا المسلمين في أشياء دون التوحيد، حتى قاتلوهم وأخذوا ما تحت أيديهم من بلاد؛ هؤلاء فعلوا بهم هذا.

ثم هذا جوابٌ آخر وهو الجواب السادس؛

قال: **(ويقال أيضاً: إذا كان الأَوَّلونَ لَمْ يكفروا، إلَّا أنهم جَمَعوا بينَ الشِّرْكِ وتَكْذيبِ الرسول ﷺ والقرآن وإنكارِ البَعْثِ وغيرِ ذلكَ؛ فما معنى البابِ الذي ذكر العلماء في كل مذهبٍ: "بابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ"؛ وهو المسْلِمُ الذي يَكْفُرُ بعدَ إسلامه؟ ثم ذكروا أنواعاً كثيرة)**

يقال لهم: إذا كان الأولون الذين ذكرتم لم يكفروا إلا حين جمعوا جميع أنواع الكفر من الشرك والتكذيب والاستكبار التي ذكرتموها- هكذا هي شبهتهم-؛ قال: فما معنى ذكر أنواع من الكفر في باب حكم المرتد الذي يذكره العلماء؟ لأنك عندما تقرأ في كتب الفقه تجد في كل كتاب من كتب الفقه الكبيرة باباً لحكم المرتد الذي يرجع عن دين الله سبحانه وتعالى ويكفر بعد إسلامه، ويذكر العلماء هناك أنواعاً من مسائل الردة.

فإذا كان الشخص لا يكفر إلا بمجموع ما ذكروا عن أولئك؛ إذن كيف جعل العلماء هذه مسائل ردة، يكفر الشخص بعملٍ واحد منها؟ إذاً هذا ينقض دعواكم بأنه لا بد للشخص أن يجمع أنواع الردة كلها التي كان عليها الأوائل حتى يكفر؛ لا هذا باطل. وهذه كلها الأجوبة التي أجاب بها الشيخ في محلها وهي قوية جداً في الدلالة، وحجّة عليهم وهذا أمر متفق عليه أصلاً بين العلماء؛ ليس بينهم نزاع في هذا.

قال: (وهو)- يعني المرتد- (المسلم الذي يكفر بعد إسلامه) هذا تعريف للمرتد (ثم ذكروا أنواعاً كثيرة من أنواع الردة)

قال: **(كُلُّ نَوْعٍ منها يُكفِّر ويُحِلّ دمَ الرَّجُلِ ومالِهِ)**

كل نوع منها.

قال: **(حتى إنَّهمْ ذكروا أشياءَ يسيرةً عِنْدَ مَنْ فَعَلها؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يذكُرها بِلسانِه دون قَلبِهِ، أو كَلِمَةً يَذكُرها على وجه المزْحِ واللعِبِ)**

يعني في نظر من فعل هذا الفعل هي أمر سهل خفيف لكن مع ذلك عَدَّهُ العلماء ردة عن دين الله سبحانه وتعالى، كما يحصل اليوم بين الناس أشياء كثيرة؛ استهزاء بشريعة الله سبحانه وتعالى ويظنون أنها أمر عادي، ضحك ولعب؛ وهي تكون ردة.

قال: (مثل كلمةٍ يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب) إذاً ما الفائدة من ذكر هذه الأنواع؟ حتى لو نوع واحد؟ قال: "مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه" الظاهر أن المؤلف يريد أنه لا يتمعن فيها ولا يدقق فيها؛ لأن الكلمة التي تذكر على اللسان والشخص غير قاصدّ لها أصلاً؛ هذه من باب الخطأ، لكن الظاهر أن المؤلف يريد أنه هو قاصد أن يتكلم بالكلمة؛ ولكنه لا يتمعّن فيها ولا يدقق في مؤداها. والله أعلم.

أو كلمة يذكرها على سبيل المزاح؛ استهزاء {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}[١]، فيكفر الشخص بكلمة يذكرها يظنها يسيرة، يذكرها مازحاً لاعباً؛ فيكفر بها.

ذكرنا (كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه) المقصود بذلك أنه يتكلم بالكلمة ولا يلقي لها بالاً كما جاء في الحديث، أمّا من تكلم بكلمة على وجه الخطأ أو السهو؛ فهذا لا يؤاخذ بها.

جواب آخر:

قال: **(ويقال أيضاً الذين قال الله فيهم: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ}[٢]، أما سمعت اللهَ كفَّرَهم بكلمةٍ مع كَوْنِهِمْ في زَمَنِ رسولِ اللهِ ﷺ ويُجاهِدونَ معهُ، ويُصَلّونَ ويُزَكونَ ويحُجُّونَ ويوحِّدونَ)**

١- [التوبة: ٦٥-٦٦]

٢- [التوبة: ٧٤]

يعني هؤلاء كانوا مع النبي ﷺ ويصلون ويزكون ويحجون ويجاهدون ويوحدون؛ ومع ذلك كفَّرَهم الله سبحانه وتعالى وكفروا بعد إسلامهم.

قال: **(وكذلك الذين قال الله فيهم: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}، فهؤلاء الذين صرَّح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزحِ)**

يعني يمزحون ويلعبون، وفيما ذكر أهل التفسير أنهم كانوا يمزحون عندما كان النبي ﷺ في غزوة تبوك وكانوا معه، فذكر أهل التفسير أنهم كانوا يمزحون ويقولون: (قادتنا كبار البطون، في المعارك يجبنون) فجاء الخبر إلى النبي ﷺ فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه هذه الآية: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} حتى بالمزاح، وهذه خطورة المزاح في الدين، تمزح بشريعة الله أو تمزح على النبي ﷺ؛ هذا يكفر العبد، وهؤلاء كانوا مع النبي ﷺ يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون ويزكون؛ كفروا بكلمة قالوها، إذاً الكفر لا يلزم فيه أن تجمع جميع أنواع الكفر التي كان عليها المشركون حتى تكون كافراً؛ بل يكفر العبد بكلمة واحدة يقولها، هناك أقوال وأفعال يكفر بها، ذكرها علماء الإسلام في كتب الردة، ومن ذلك: عبادة غير الله معه، الشرك بالله، عبادة الأوثان، عبادة القبور، عبادة الأضرحة؛ هذا من الشرك، وهذا يكفُرُ به الشخص.

انتهت الشبهة، وهذه كلها أدلّة واضحة وقوية في الرد على هذه الشبهة.

قال: **(فتأمَّلْ هذه الشُّبْهَةَ؛ وهي قولهم: تُكَفِّرونَ مِنَ المسلمين أُناساً يشهدونَ أنْ لا إله إلا الله ويصلون ويصومون؟ ثم تأمَّل جوابها؛ فإنَّه مِنْ أَنْفَعِ ما في هذه الأوراقِ)**

نكتفي بهذا القدر اليوم ونؤجل الباقي للدرس القادم بإذن الله والله أعلم.

شرح كشف الشبهات

الدرس ٨

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

فمعنا اليوم درسٌ جديد من دروس شرح كشف الشبهات، وكنا قد وقفنا عند الشبهة التي يتعلق بها عُبّاد القبور والذين يعبدون غير الله، فشبهتهم تلك أنهم قالوا: كيف تشَبِّهوننا بالكفار- كفار الجاهلية- وأولئك كانوا يكفرون بعدة أشياء وذكروها، وقالوا نحن لا نكفر مثلهم؛ نحن نؤمن بهذه الأشياء التي كفروا هم بها؛ فذكر لهم المؤلف رحمه الله أن المسلم يرتد ويكفر بمُكَفّرٍ واحد، ولا يلزم أن تجتمع فيه خصال الكفار كلها حتى يكفر، وذكر أنواعاً من الأدلة التي تدل على ما قال، وهو حقيقةً أمر متفق عليه بين الفقهاء والعلماء؛ ولكن هذه شبهات فقط للتعلق بالقش كما يقولون.

قال المؤلف: **(ومِنَ الدَّليلِ على ذلكَ- أيضاً)**

من الدليل أيضاً على أن الإنسان يكفر بارتكاب مُكَفِّرٍ واحد، ولا يجب أن تجتمع فيه خصال الكفر كلها.

قال: **(ما حكى اللهُ عَنْ بني إسرائيل مَعَ إسْلامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وصلاحِهِمْ)**

يعني هؤلاء ما كان يجتمع فيهم شيءٌ من المُكَفِّرات فكانوا مسلمين وكانوا صالحين.

قال: **(قالوا لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[1]، وقول أُناسٍ من الصحابة: اجعل لنا ذاتَ أنْواطٍ؛ فحلف النبيُّ ﷺ أنَّ هذا نَظيرُ قَوْلِ بني إسرائيل: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا})**

١- [الأعراف: ١٣٨]

طبعاً معروف أن اتّخاذ إله مع الله سبحانه وتعالى يعتبر شركاً، ومن اتّخذها؛ يعتبر مشركاً، وكذلك جعل الأنواط هذه للتَّبرُّك بها والتعبد إليها؛ أيضاً هذا يعتبر شركاً؛ لكن عندهم الآن شبهة؛ فقال:

(ولكنْ للمشركين شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بها عِنْدَ هذه القصَّةِ)

يعني يذكرون شبهتهم هنا ويستدلون بها.

قال: **(وهي أنهم يقولون: إنَّ بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواطٍ؛ لم يكفروا)**

أيضاً؛ قال:

(فالجوابُ أنْ نقولَ: إنَّ بني إسرائيل لَمْ يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خِلافَ أنَّ بني إسرائيل لوْ فعلوا ذلكَ لكفروا)

هذا هو السبب في كونهم لم يكفروا، لا لأن من فعل ذلك لا يكفر؛ لا، ولو فعلوا ذلك بعد بيان أن هذا لا يجوز وهذا محرم وهذا من الشرك- بعد أن بيَّن لهم أنبياؤهم- لو فعلوا ذلك؛ لكفروا، لكنهم لم يفعلوا ذلك؛ فهذا هو المانع من كفرهم، فكونهم لم يكفروا؛ كان المانع أنهم لم يفعلوا؛ هذا هو جواب الشيخ؛ يقول: (فالجواب أن نقول: إنَّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك) يعني ما اتخذوا إلهاً مع الله سبحانه وتعالى، وإن كانوا طلبوا ذلك لكن أنكر عليهم موسى؛ فكفُّوا وتركوا، كذلك الأمر بالنسبة لبعض الصحابة هؤلاء الذين طلبوا هذا الطلب، لمّا أنكر عليهم النبي ﷺ وقال لهم: "والذي نفسي بيده لقد قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة"؛ تركوا ذلك بعد أن طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط.

وذات أنواط هذه: شجرة يعلقون عليها سيوفهم ويتبركون بها، فهنا لما طلبوا هذا الطلب أنكر عليهم النبي ﷺ، وكانوا هم حديثي عهدٍ بجاهلية- كما قال الصحابي الذي يروي الحديث-، يعني ما كانوا يعلمون أن هذا الشيء محرم، فلمّا أنكر عليهم النبي ﷺ؛ تركوا، إذاً لم يفعلوا ذلك، وكذلك بنو إسرائيل؛ لم يفعلوا ذلك لمّا أنكر عليهم موسى وكَفُّوا.

قال المؤلف: **(وكذلكَ لا خِلافَ في أنَّ الذين نَهاهُم النبيُّ ﷺ لو لم يطيعوه، واتَّخذوا ذاتَ أنْواطٍ- بَعْدَ نَهْيِهِ- لكفروا، وهذا هو المَطْلوبُ)**

وهذه الحُجّة؛ وهي أنهم لو فعلوا ذلك لكفروا، ونقَل المؤلف أنه لا خلاف في ذلك: أنهم لو فعلوا لكفروا؛ وهذا محل الاستدلال.

والآن يستطرد المؤلف ويذكر لنا فوائد نستفيدها من هذه القصة؛ قال:

(ولكنَّ هذه القِصَّةَ تُفيدُ أنَّ المُسْلِمَ- بل العالِمُ- قد يَقَعُ في أنْواعٍ مِنَ الشِّرْكِ لا يَدْري عنها؛ فتُفيدُ التَّعَلُّمَ والتَّحَرُّزَ)

يعني؛ انظر: هؤلاء صحابة وما دَروا أن هذا الفعل مُحرَّمٌ، وأنه كفعل بني إسرائيل، وطلبوا من النبي ﷺ هذا الطلب؛ قال: فإذاً هناك أمور قد تخفى حتى على العالم ولا يدري أن هذا الأمر شرك، ويقع فيه.

قال: (قد يقع في أنواعٍ من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز) يعني: فأنت تستفيد من هذه القصة: أنك ينبغي أن تحرص على التعلم، وعلى الحذر أيضاً.

قال: **(ومَعْرِفَةُ أنَّ قَوْلَ الجاهِلِ: "التوحيدُ فَهِمْناه"؛ أنَّ هذا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ ومكايِدِ الشيطانِ)**

وهذه شبهة يذكرها حتى بعض الناس الموجودون اليوم ممن يزعمون أنهم على السنة؛ يقولون: العقيدة العقيدة العقيدة؛ قد مللتمونا من العقيدة، نحن قد فهمنا العقيدة وعرفنا التوحيد؛ إذن انتهينا من هذا الموضوع، دعونا نشتغل الآن بالسياسة ونشتغل بفقه الواقع؛ ومثل هذا الكلام الذي هو أخطر ما يكون على طلبة العلم وعلى المسلمين أيضاً؛ أن تُنَفِّرَهم عن العقيدة وتبعدهم عنها بزعم أنك فهمتها وعرفتها، فانظر هؤلاء، على مكانتهم وقربهم من الأنبياء؛ ومع ذلك انظر ما الذي وقع منهم؛ لذلك ينبغي على الإنسان أن يحذر، وأن يبقى دائماً- باستمرار- يدرس العقيدة ويتعلمها ويتذكرها ويقرأ فيها دائماً، وليس هناك شيء اسمه العقيدة فهمناها وانتهينا منها نضعها على جنب؛ لا؛ هذا الكلام باطل؛ لا بد على طالب العلم أن يبقى مهتماً بالعقيدة وأن يدرس العقيدة وأن يتعلم من العقيدة وأن يقرأ في كتب العقيدة دائماً، ويعتني اعتناءً كبيراً بكتب العقيدة- كتب السلف رضي الله عنهم-؛ كـ "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي، و"الشريعة" للآجري، و"السنة" لعبدالله ابن الإمام أحمد، و"السنة" للخلال، و"التوحيد" لابن خزيمة؛ هذه كتب قد حوت العقيدة التي كان عليها السلف الصالح رضي عنهم، وأنا أوصي بكتاب "التوحيد" جداً، وخاصةً بـ "فتح المجيد"، هذان الكتابان عظيمان جداً؛ لأنهما- طبعاً- قاما أصلاً على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم في عقيدة التوحيد، وأيضاً الواقع الذي نعيشه تعالجه هذه الكتب؛ فكتاب التوحيد وشروحاته؛ سواء كان "فتح المجيد" أو كتاب "القول المفيد" للشيخ ابن عثيمين أنفس ما شُرِح من الكتب، كذلك كتاب الشيخ صالح الفوزان "إعانة المستفيد"، هذه الكتب حقيقة نفيسة جداً ونافعة لطالب العلم، فلذلك أنا أوصي بالحرص عليها والتمسك بها والإكثار من قراءتها؛ فهي تُعَرِّفُك الواقع الذي تعيشه وتمسّه حقيقة وتُعَيِّشُك فيه؛ فتعرف بها الحق من الباطل.

وقال المؤلف هنا: (أنَّ هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان) أنا أعرف أحد الدعاة هنا، والذي يزعم بأنه من أهل السنة وبأنه أحد تلاميذ الأكابر من أهل العلم، لمّا ذكروا له تدريس كتاب "التوحيد"؛ قال: نحن ما عندنا شرك.

انظر الجهل إلى أي حدٍّ وصل بالبعض؛ حتى المتمشيخة؟ يقول: نحن ما عندنا شرك، طبعاً الكلمة كذب من جهتين؛ الجهة الأولى: أن قوله: (ما عندنا شرك)؛ هذا كذب؛ يوجد عندنا شرك، يوجد أضرحة، يوجد طواف بها، يوجد التقرب إليها؛ هذا موجود وبكثرة في بلاد الإسلام كلها تقريباً إلا ما ندر.

أمّا الوجه الثاني؛ وهو أنه وإن لم يوجد شركٌ؛ فقيام الشرك وحصوله وارد في أي لحظة؛ فإذا لم يتعلم الناس التوحيد ولم يتعلموا الشرك؛ وقعوا في الشرك وهم لا يعرفونه؛ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)[1]، فأنت إذا لم تعرف الشرك؛ وقعت فيه وأنت لا تدري، فحتى لو سلَّمْنا أنه ما عندك شرك؛ ينبغي أن تُعَلِّم الناس التوحيد والشرك حتى يتمسكوا بالتوحيد ويحذروا من الشرك؛ ولكن- نسأل الله العافية والسلامة- هذا كلام إنسان ما عرف التوحيد أصلاً، ما عرف معنى الشرك؛ لذلك خرجت منه هذه الكلمة.

قال المؤلف: **(وتفيد- أيضاً- أنَّ المُسْلِمَ المجتهدَ إذا تَكَلَّمَ بكلامِ كفرٍ وهو لا يدري، فنُبِّه على ذلك وتابَ مِنْ ساعته؛ أنه لا يكفرُ؛ كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ)**

١- هذا الأثر ذكره ابن تيمية وابن القيم في عدة مواضع من كتبهما من غير إسناد، ولم أجده في كتب الحديث، ومعناه صحيح، يدل عليه ما ورد من كيفية وقوع الشرك في قوم نوح عليه السلام.
وفي الصوتية: (متى يُدْرَس الإسلام؟ عندما ينشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وتمَّ تعديله من المصدر.

وهذا أيضاً مما نستفيده من هذه القصة:

قال: (أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفرٍ..) هنا علَّق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله على هذه النقطة؛ فقال: (أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلاً بذلك ثم نبه فانتبه وتاب في الحال؛ فإن ذلك لا يضره؛ لأنه معذورٌ بجهله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أمَّا لو استمر على ما علمه من الكفر؛ فإنه يحكم بما يقتضيه حاله)؛ إذاً الإنسان يُعذَر بجهله إذا كانت المسألة من المسائل التي يجهلها مثله، مسألة خفيَّة تُجهَل وجهِلها؛ فمثل هذا يُعذَر بجهله، أما مسائل واضحة وصريحة ويعرفها العامة ويعرفها العلماء؛ هذه ما تخفى على مثل هذا؛ فلذلك لا يُعذَر بذلك، وأنا قد فصّلت موضوع العذر بالجهل بما فيه كفاية في الدرس- أظن- الثاني أو الثالث من شرحي على كتاب "شرح السنة" للبربهاري، من شاءه فليرجع إليه، والمفروض أنتم طلبة المعهد قد مررتم به وعرفتموه وعرفتم ضابط العذر بالجهل، ولأن المسألة اليوم حصل فيها خلط وخبط كبير وصار فيها إفراط وتفريط؛ الاعتدال- منهج السلف رضي الله عنهم- هو الذي قررناه لكم في ذاك الكتاب. والله أعلم.

قال: **(وتفيدُ أنه لو لمْ يكفُر؛ فإنَّه يُغَلَّظُ عليه الكلامُ تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله ﷺ)**

هذا من باب الإنكار على هذا الفعل الكفري حتى وإن لم يكفر صاحبه؛ لكن يُنكَر عليه أنكاراً شديداً؛ لزجر الناس عن هذا الفعل حتى يحذروا منه ويبتعدوا عنه؛ هذا المقصود هنا؛ لأن قصة موسى والقصة التي حصلت من الصحابة مع النبي ﷺ تفيد

ذلك لمّا قال لهم النبي ﷺ: الله أكبر إنها السَنَن، لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم سنة سنة[1]، وهذا إنكار شديد وظاهر من النبي ﷺ.

ثم قال المؤلف بعد ذلك: **(وللمُشْركين شُبْهَةٌ أُخرى؛ يقولون: إنَّ النبي ﷺ أَنْكَرَ على أسامة قَتْلَ مَنْ قال: لا إله إلا الله[2]، وكذلك قوله: أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله[3]، وأحاديثُ أخرى في الكَفِّ عمَّنْ قالها)**

طبعاً هنا يستدلون على أنك إذا قلت: لا إله إلا الله؛ انتهى الموضوع وصارت عندك حصانة من الكفر والردة؛ هذا مقصودهم من هذا الكلام، إذا قلت: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ خلاص انتهى الأمر حتى لو ارتكبت ما ارتكبت من الكفر بعد ذلك، حتى لو نقضت نفس الكلمة وأفسدتها؛ لا يؤثر عندهم، بما أنك قلتها؛ انتهى الأمر.

ما فائدة هذه الكلمة إذا لم تعمل بمعناها ولم تلتزم بلوازمها؟ لا شيء، كي تنتفه بهذه الكلمة؛ مطلوبٌ منك أن تتقيد بمعناها، أن تفهم معناها وأن تلتزم بها، لا أن تنقضها وتفسدها وتقول: (أنا قلت: لا إله الا الله محمد رسول الله) ما فائدتها؟ لم يعد لها فائدة.

قال المؤلف: **(ومُرادُ هؤلاء الجَهَلَةِ: أَنَّ من قالها لا يُكَفَّرُ ولا يُقْتَلُ ولو فَعَلَ ما فعل)**

انظروا أين حجتهم؟ يقول: خلاص؛ قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ هذا الاستدلال استدلال الجُهّال الذين لا يعرفون شيئاً من أمور العقيدة وأمور الدين، وما زال عندنا إلى اليوم من المسلمين من يستدِلّ بهذا ويقول لك: قال لا إله إلا الله محمد

١- أخرجه أحمد (٢١٨٩٧)، والترمذي (٢١٨٠).
٢- أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.
٣- أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره.

رسول الله، سبحان الله! هذا الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} ما كان يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؟! الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما كانوا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله؟! صور كثيرة جداً؛ ماذا نفعتهم هذه الكلمة؟ لم تنفعهم شيئاً؛ لأنهم لم يعملوا بها، نقضوها وعملوا بما يُضادّها.

ثم يرد المؤلف عليهم ويقول: **(فيقالُ لهؤلاء المشركين الجُهَّال: مَعْلومٌ أنَّ الرسولَ ﷺ قاتلَ اليهودَ وسَباهُمْ وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنَّ أصْحابَ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهمْ يَشْهدونَ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ويُصَلُّونَ ويَدَّعونَ الإسلام)**

بنو حنيفة هم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق؛ أصحاب مسيلمة الكذاب.

قال: **(وكذلكَ الذينَ حَرَّقَهُمْ علي بن أبي طالب بالنار)**

كما تقدم؛ صور.

قال: **(وهؤلاء الجهلةُ مُقِرُّونَ أنَّ مَنْ أنْكَرَ البعثَ؛ كَفَرَ وقُتِلَ ولو قال: لا إله إلا الله)**

يكفر بإنكاره البعث ويقتل مع أنه يقول: لا إله إلا الله محمداً رسول الله أيضاً.

قال: **(وأنَّ منْ جَحَدَ شيئاً مِنْ أرْكانِ الإسلام: كفرَ وقُتِلَ ولو قالها؛ فكيفَ لا تَنْفَعُهُ إذا جَحَدَ فَرْعاً مِنَ الفُروعِ؟ وتَنْفَعُهُ إذا جَحَدَ التَّوْحيدَ الذي هو أصْلُ دِينِ الرُّسُلِ ورَأْسُهُ؟)**

يعني لو جحد الصيام وقال ليس بواجب كفر؛ فكيف يكفر بجحود الصيام ولا يكفر بنقض التوحيد؟ هذا معنى كلامه.

قال: **(ولكنَّ أَعْداءَ الله ما فهموا معنى الأحاديث.**

فأمَّا حديثُ أسامة: فإنَّه قَتَلَ رجلاً ادَّعى الإسلام بسبب أنَّه ظنَّ أنه ما ادَّعى الإسلامَ إلا خوفاً على دمه وماله)

يعني: أين موضع الاستدلال الآن؟ حين استدلوا؛ بماذا استدلوا؟

استدلوا بأن أسامة بن زيد رضي الله عنه لمّا كان في المعركة أراد أن يقتل رجلاً؛ فقال هذا الرجل: لا إله إلا الله، فقتله أسامة؛ فأنكر عليه النبي ﷺ إنكاراً شديداً: كيف تقتله وقد قال لا إله إلا الله؟ هذه حجتهم؛ هذا قال لا إله إلا الله فأنكر النبي ﷺ على من قتل من قال لا إله إلا الله؛ فجواب الشيخ هنا: أسامة لما قتلَ قتل من ادَّعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله؛ هكذا ظنّ أسامة، لكن الرجل لمّا قال: لا إله إلا الله؛ دخل في الإسلام، هل دخله خوفاً أم دخله حقيقةً؟ أنت ما لك إلا الظاهر، هو دخل في الإسلام وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ انتهى إذاً الأصل أنه مسلم، ثم بعد ذلك إذا فعل ما ينقض هذه الكلمة؛ يُقْتلُ عليه ويرتَدُّ؛ هذا موضوع آخر، فأسامة هنا لمّا قتله ظن أنه قالها خوفاً من السيف فقط، ما يريد الإسلام، لكن النبي ﷺ لمّا أنكر عليه ماذا قال له؟ قال: أشققت عن قلبه؟ يعني: ما أدراك أنه قالها خوفاً من السيف؟ فأنت ما لك إلا أن تأخذ الناس بظاهر حالهم، فإذا أظهروا التوحيد؛ فهم موحدون، وإذا أظهروا الشرك الذي ينقض التوحيد؛ فهم مشركون؛ هذا هو الفهم السليم لهذا الحديث، أنت عندما يأتيك دليل على مسألة معينة ما تتعلق بهذا الدليل وتترك الأدلة الأخرى التي توضحه وتبينه وتجتمع معه؛ لأنك عندئذٍ تردُّ تلك الأدلة وتأخذ بهذا فقط؛ وهذا عمل أهل البدع والضلال الذين يتبعون أهواءهم فقط في الأدلة.

قال: **(والرجلُ إذا أظْهَرَ الإسلامَ؛ وَجَبَ الكَفُّ عنه؛ حتى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ ما يخالفُ ذلك)**

أرأيت؟ خلاص أظهر الإسلام إذاً تعامله بما أظهر، قال لك: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ إذاً الأصل فيه أنه مسلم، بعد ذلك إذا فعل ما ينقض الإسلام، إذا سبّ الرب مثلاً، أو سبّ الدين؛ فهذا محل اتفاق أنه يكفر ويخرج من الإسلام؛ مع أنه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ لكنه أتى بما ينقض هذه الكلمة، بما يفسدها، بما يبطلها، يعني كالوضوء، أنت تتوضأ؛ هل تبقى متوضأ طول عمرك؟ لا؛ هناك نواقض إذا فعلتها تنقض الوضوء؛ كذلك كلمة التوحيد نفس الشيء.

قال: **(وأنْزَلَ اللهُ تعالى في ذلك {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا}**[1] **أي: فَتَثَبَّتوا، فالآيةُ تَدُلُّ على أَنَّهُ يَجِبُ الكّفُّ عنهُ والتَّثَبُّتُ، فإذا تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذلكَ ما يُخالِفُ الإسْلامَ؛ قُتِلَ؛ لقوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا}.**

ولو كانَ لا يُقتَلُ إذا قالها؛ لَمْ يكنْ للتَّثَبُّتِ معنى)

إذن نتثبت من ماذا؟ نتثبت من إيمانه؛ أهو قالها خوفاً من السيف أم قالها حقيقةً؟ ننظر بعد ذلك في أعماله وفي تصرفاته؛ فيظهر الحال.

قال: **(وكذلكَ الحديثُ الآخرُ وأمثاله؛ معناها ما ذكرناه: أنَّ مَنْ أظْهَرَ التَّوْحيدَ والإسلامَ؛ وَجَبَ الكَفُّ عنه؛ إلا أن يَتَبَيَّنَ مِنْهُ ما يُناقِضُ ذلك)**

هذا هو الأصل؛ هذا أصل معروف عند أهل العلم: الأصل في المسلم الذي يظهر الإسلام: أنه مسلم، حتى المنافقون في عهد النبي ﷺ كان يعاملهم النبي ﷺ على ما أظهروا، قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ خلاص يُظهِرون الإسلام؛ يعاملون على

١- [النساء: ٩٤]

أنهم مسلمون، حتى ينقضوا بعد ذلك إسلامهم بناقضٍ ظاهر من النواقض؛ عندئذٍ يقتلون، وإلَّا؛ فلا.

قال: (والدَّليلُ على هذا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "أقَتَلْتَهُ بعدما قال: لا إله إلا الله)

هذه قالها النبي ﷺ لأسامة.

قال الشيخ: ("أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله")

إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله؛ يَكُفُّ عنهم ولا يقاتلهم.

قال: (وهو الذي قال في الخوارجِ: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتِّلَنَّهُمْ قَتْلَ عادٍ"[1])

مع أنهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومع هذا قال فيهم النبي ﷺ: "لئن أدركتهم لأُقَتِّلَنَّهم قتل عاد".

قال: (مع كَوْنِهم مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبادَةً وتهليلاً وتسبيحاً؛ حتى إنَّ الصَّحابَةَ يَحْقِرونَ أَنْفُسَهم عندهم، وهمْ تعلَّموا العِلْمَ مِنَ الصَّحابَةِ، فَلَمْ تنْفَعْهُم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادِّعاءَ الإسلام؛ لمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مخالفةُ الشَّريعةِ.

وكذلك ما ذكرناه مِنْ قِتالِ اليهودِ وقِتالِ الصَّحابَةِ بني حنيفةَ)

يعني ما ذكره من قتال الصحابة لبني حنيفة.

قال: (وكذلكَ أرادَ ﷺ أَنْ يَغْزوَ بني المُصْطَلِقِ لمَّا أخبره رجلٌ منهم أنهم منعوا الزكاة؛ حتى أنْزَلَ اللهُ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}[2])

١- أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

٢- [الحجرات: ٦]

بنو المصطلق من المسلمين، أرسل إليهم النبي ﷺ من يجمع الزكاة؛ فرجع إليه رجلٌ وقال: منعوا الزكاة؛ فجهز النبي ﷺ يريد غزوهم مع أنهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقط لمنع الزكاة؛ هذا محل الاستدلال.

قال: **(وكان الرجلُ كاذباً عليهم؛ وكُلُّ هذا يَدُلُّ على أَنَّ مُرادَ النبي ﷺ في الأحاديثِ التي احْتَجُّوا بها ما ذكرناه.**

ولهم شبهةٌ أخرى؛ وهي ما ذكر النبي ﷺ: "أنَّ الناسَ يومَ القيامةِ يستغيثون بآدم، ثم بنوحٍ، ثم بإبراهيمَ، ثم بموسى، ثم بعيسى")

هذا حديث الشفاعة الطويل المعروف؛ حديث في "الصحيحين"، هذا في الموقف حين تقترب منهم الشمس قدر ميل ويطول قيامهم، فيشتد عليهم الأمر؛ فيأتون إلى الأنبياء كي يشفعوا لهم عند الله سبحانه وتعالى ويبدأ الحساب.

قال: **(فكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُ، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ)**

كل واحد من الأنبياء يقول: نفسي نفسي، ويذكر ذنباً، إلى أن يأتوا إلى النبي ﷺ.

قال: **(قالوا: فهذا يَدُلُّ على أن الاستغاثة بغيرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكاً)**

يعني أن هؤلاء الناس يذهبون إلى النبي ﷺ ويستغيثون به ويستغيثون بالأنبياء أيضاً، ولم يعتبر هذا شركاً؛ إذاً كيف أنتم تقولون بأن الاستغاثة بالنبي ﷺ وهو ميت يعتبر شركاً، هذا باطل من القول؛ هكذا يقولون، فهم لم يفرقوا بين الاستغاثة بالحيّ في أمر يقدر عليه وبين الاستغاثة بالميت؛ فالآن المؤلف سيبيّن هذا في الرد.

فقال: **(والجوابُ أَنْ نقول: سبحانَ مَنْ طَبَعَ على قلوبِ أعدائه؛ فإنَّ الاستغاثةَ بالمَخْلوقِ فيما يَقْدِرُ عليه: لا نُنْكِرُها)**

هذه ليست من الشرك؛ يعني: إذا كان الشخص غريقاً في الماء- في البحر- ورأى شخصاً على الشاطئ يستطيع أن ينقذه واستغاث به؛ هل هذا يعتبر من الشرك؟ هذا لا نعتبره من الشرك ولا يعتبر أحدٌ من المسلمين أن هذا وقع في الشرك؛ فليست هذه الصورة هي محل النزاع بيننا وبينكم.

قال: **(كما قال تعالى في قصة موسى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ}[1])**

فاستغاثه؛ فأغاثه موسى؛ هذا ليس شركاً.

قال: **(وكما يستغيثُ الإنسانُ بأصحابه في الحَرْبِ، أو غيره في أشياءَ يَقْدِرُ عليها المَخْلوقُ)**

هذا كله ليس محل النزاع؛ فأنتم تستدلّون علينا بأشياء ليست هي محل النزاع، فأنت ينبغي قبل أن ترد؛ أن تحرر محل النزاع بينك وبين من اختلفت معه؛ يعني: خلافي معك في أي نقطة؟ لأني ربما أنا أتحدث عن شيء وأنت تتحدث عن شيءٍ آخر، وربما نكون أصلاً متفقين وربما نكون مختلفين لكن؛ نصُبّ الخلاف في محله؛ هذا هو المراد، فالآن هنا النقطة التي تستدلون بها ليست هي محل النزاع بيننا وبينكم، طبعاً هم يستدلون للتلبيس؛ فإنهم يعرفون هذا؛ لكنهم يريدون التلبيس، ويأتون بأدلة كهذه؛ ليلبسوا بها على المساكين .

قال: **(ونحن أنْكَرْنا استغاثَةَ العبادَةِ التي يفعلونها عند قُبورِ الأنبياء، أو في غَيْبَتِهم في الأشياء التي لا يقدرُ عليها إلا الله)**

١- [القصص: ١٥]

إذن هذا هو محل الخلاف، هذا هو الفرق بين الاستغاثة الجائزة والاستغاثة المحرمة؛ فالاستغاثة عندنا قسمان؛ قسم جائز- وهو الذي ذكرنا-: أن تستغيث بحيٍ حاضرٍ قادر؛ هذه جائزة؛ لا اشكال فيها، أمّا إذا استغثت بميت في قبره؛ أن يرزقك المطر أو يرزقك الولد كما يفعل القبوريّون اليوم عند القبور مع أوليائهم؛ هذا هو الشرك؛ لأن الاستغاثة بهذه الصورة هي عبادة وقربة لله سبحانه وتعالى، ثم إنك أنت أشركت شرك ربوبية؛ فجعلت هذا الولي الآن بمنزلة رب العزة تبارك وتعالى ينزل المطر ويرزق الولد وهذا خاصٌ بالله سبحانه وتعالى.

قال: (ونحن أنكرنا استغاثة العبادة) هذه الاستغاثة التي أنكرناها؛ استغاثة العبادة وليست أيَّ استغاثة؛ فالاستغاثة قسمان: القسم الاول لا ننكره، وهذا القسم الثاني الذي ننكره هو استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم- في غيبة الأولياء- في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

هنا يناقشهم في دليلهم

قال: **(إذا ثَبَتَ ذلكَ؛ فاستغاثتهم بالأنبياء يومَ القيامةِ، يريدون منهم أنْ يدعوا اللّهَ أُن يحاسِبَ النَّاسَ حتى يستريحَ أَهْلُ الجنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ؛ وهذا جائِزٌ في الُّدنيا والآخرة)**

هذه الاستغاثة بهذه الطريقة: جائزة لا إشكال فيها، حتى لو كنت في الدنيا وذهبت إلى شخص واستغثت به في أمرٍ تريد أن يدفعه عنك، وهو قادرٌ على ذلك؛ فلا بأس، ما دام حيّاً موجوداً قادراً؛ فلا إشكال، كما مثّلنا بالغريق في البحر أو الذي جاءه عدو يريد أن يبطش به والآخر يستطيع أن يعينه وأن يساعده؛ فيستغيث به: يا فلان

أعِنّي، خلصني من هذا؛ فليس في ذلك إشكال؛ بل هو جائز؛ الاستغاثة جائزة؛ إنما الاستغاثة المنكرة هي الصورة الثانية.

قال: **(وذلك أنْ تأتيَ عندَ رَجُلٍ صالحٍ حيٍّ يُجالِسُكَ ويَسْمَعُ كلامَكَ؛ فتقولُ له: ادعُ اللهَ لي، كما كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأمَّا بعد مَوْتِهِ فحاشا وكلَّا أنَّهم سألوه ذلك عندَ قَبْرِهِ؛ بلْ أنْكَرَ السَّلَفُ الصَّالِحُ على مَنْ قَصَدَ دُعاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ؛ فَكَيْفَ بدعائه نفسه؟!)**

إذن هذا هو محل الشرك، وهذا الفرق ما بين الاستغاثة الجائزة والاستغاثة المحرمة، ولعدم تفريقهم بين هاتين الصورتين أو لتلبيسهم على مَن حولهم؛ استدلّوا بهذا الدليل الذي ليس هو محل خلافٍ بيننا وبينهم.

نكتفي اليوم بهذا القدر، ويكون الدرس القادم إن شاء الله هو الدرس الأخير والحمد لله.

شرح كشف الشبهات

الدرس ٩ وهو الأخير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

معنا اليوم آخر درس من دروس شرح كشف الشبهات وهو الدرس التاسع وبه نختم إن شاء الله.

هنا شبهة جديدة يذكرها المؤلف رحمه الله من شبهات أهل التصوف، والذين يستغيثون بالأموات، ويعبدونهم من دون الله، ويتقربون إليهم بأنواع القرب؛ فهذه الشبهة الآن في موضوع الاستغاثة بالأموات؛ ما هي هذه الشبهة التي يستدلون بها على جواز الاستغاثة بالأموات، وأن ذلك لا يعتبر شركاً كما يزعمون؟

قال الشيخ رحمه الله: **(ولهمْ شُبْهَةٌ أُخرى؛ وهي قِصَّةُ إبراهيم عليه السلام لمَّا أُلْقيَ في النَّارِ، اعْتَرَضَ لهُ جبريلُ في الهواءِ؛ فقال له: أَلَكَ حاجةٌ؟ فقال إبراهيمُ: أمَّا إليْكَ فلا، قالوا: فلو كانت الاسْتِغاثةُ بجبريلَ شِرْكاً؛ لَمْ يَعْرِضْها على إبراهيم)**

هذه هي شبهتهم، والقصة أولاً وقبل كل شيء لا تصح أبداً، ليس لها إسنادٌ صحيح مطلقاً، القصة غير ثابتة أخرجها الطبري في تفسيره وذكرها أيضاً البغوي في تفسيره، يذكرونها عند قول الله تبارك وتعالى: {قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[١]، وكما قلنا: ذكرها الطبري والبغوي وبعض المفسرين الآخرين، وذكرها أيضاً أبو نعيم في "حلية الأولياء"، والبغوي في "شعب الإيمان"، فهذه القصة- كما ذكرنا لكم- لا تثبت، لا يوجد لها إسناد صحيح، وهي مروية عن أكثر من واحد من التابعين؛ يروونها عن

١- [الأنبياء: ٦٩]

إبراهيم مباشرةً، أو عن بعض أصحابهم؛ فلا تصح، وللشيخ الألباني رحمه الله كلام عليها في "الضعيفة"[1]، من أراده فليرجع إليه.

قال الشيخ مُجيباً عن هذه الشبهة: **(أنَّ هذا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولى)**

يعني نفس الشبهة التي تقدمت معنا في السابق، وذكرنا أنَّ هذه الشبهة ناتجة عن أنهم لم يُفرِّقوا بين الاستغاثة الجائزة والاستغاثة الشركية، هذه الاستغاثة التي ذكروها لإبراهيم عليه السلام حين عرَض عليه جبريل عليه السلام الإغاثة؛ هذه ليست من الاستغاثة المحرمة الممنوعة أصلاً- هذا لو ثبتت القصة؛ يعني على التسليم بثبوتها-؛ هذه استغاثة بحيٍّ حاضر قادر على الإغاثة؛ فلا إشكال فيها، وليست هي من الاستغاثة الممنوعة.

قال: **(فإنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عليه أَنْ يَنْفَعَهُ بأَمْرٍ يَقْدِرُ عليهِ؛ فإنَّه كما قال الله تعالى فيه: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}[2]، فلو أُذِنَ له أَنْ يأخُذَ نارَ إبراهيمَ وما حَولها مِنَ الأَرضِ والجبالِ ويُلْقيها في المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ؛ لَفَعَلَ)**

يعني كان قادراً على أن يفعل هذا الشيء .

قال: **(ولو أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إبْراهيمَ في مكانٍ بعيدٍ عَنْهُمْ؛ لفعلَ، ولو أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إلى السَّماءِ؛ لفعلَ)**

يعني كان قادراً على أن يُخَلِّصه من النار بأي طريقة أرادها الله سبحانه وتعالى.

١- (٢١)

٢- [النجم: ٥]

قال: (وهذا كرجلٍ غنيٍ له مالٌ كثيرُ يرى رجلاً مُحْتاجاً، فيعرضُ عليه أنْ يُقْرِضَهُ أوْ أنْ يهَبَهُ شيئاً يقْضي بهِ حاجَتَهُ؛ فيأبى ذلك المحتاجُ أنْ يأْخُذَ، ويَصْبِرُ إلى أنْ يأتيَه اللهُ برزقٍ لا مِنَّةَ فيه لأحَدٍ؛ فأين هذا من استغاثة العبادةِ والشِّرْكِ لو كانوا يفقهون)

إذاً هذه صورة ومسألة، وتلك مسألة أخرى مخالفة لها تماماً، خلافنا معكم ليس في هذه الصورة؛ أن تستغيث بحاضرٍ قادرٍ على الإغاثة؛ إشكالنا معكم أن تستغيثوا بالأموات الذين لا حول لهم ولا قوة؛ فتستغيثونهم كما يستغيث الموحد ربه تبارك وتعالى؛ هذه استغاثة عبادة وصرْفها لغير الله شرك.

قال رحمه الله: (ولنَخْتِمْ الكلامَ- إن شاء الله- بمسألةٍ عظيمةٍ مهمةٍ جداً، تُفْهَمُ مما تَقَدَّمَ)

ختم المؤلف الآن هذه الشبهات بمسألة عظيمة؛ فقال: (ولنختم الكلام إن شاء الله بمسألةٍ عظيمةٍ مهمةٍ جداً تفهم مما تقدم)؛ يعني: بإمكانك أن تفهمها من خلال ما قدَّمه من الإجابة على الشبهات السابقة.

قال: (ولكنْ نُفْرِدُ لها الكلامَ؛ لِعِظَمِ شَأْنِها، ولِكَثْرَةِ الغَلَطِ فيها؛ فنقولُ: لا خِلافَ أَنَّ التَّوْحيدَ لابُدَّ أنْ يكونَ بالقلبِ واللسانِ والعَمَلِ)

توحيد بالقلب؛ أن تُقِرَّ بقلبك، وتُوَطِّنه على العلم والإيقان بأنه لا معبود بحقٍ إلا الله؛ فيستقر قلبك على هذا الاعتقاد، وباللسان تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالعمل أن تعبد الله وحده وأن تترك عبادة من سواه.

قال: (فإنِ اخْتَلَّ شيءٌ مِنْ هذا؛ لَمْ يكنِ الرَّجُلُ مُسْلِماً)

يعني سواء كان التوحيد القلبي أو التوحيد اللساني أو التوحيد العملي، إذا اختلَّ واحد من هذه الثلاث؛ لا يكون الرجل مسلماً.

قال: **(فإنْ عَرَفَ التَّوْحيدَ ولَمْ يَعْمَلْ به؛ فهو كافرٌ مُعانِدٌ كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يَغْلَطُ فيه كثيرٌ منَ النَّاسِ؛ يقولون: هذا حَقٌّ ونحنُ نَفْهَمُ هذا ونَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ؛ ولكننا لا نَقْدِرُ أنْ نَفْعَلَهُ)**

ماذا يعني؟ يعني التوحيد، يقول: نعم عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه من الأوثان ومن الأضرحة والأولياء وغيرها؛ هذا حق لا شك فيه، دعوتكم دعوة حق؛ لكنني أنا غير قادر على ترك عبادة غير الله سبحانه وتعالى والتقرب إلى الأضرحة والأولياء.

قال: **(ولا يجوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنا إلَّا مَنْ وافَقَهم، وغيرَ ذلك مِنَ الأَعْذارِ)**

يعني يقول: أهل البلد عندنا لا يُجَوِّزون أن تترك عبادة الأضرحة والتَّقرب إليها... إلى آخره؛ إذاً نحن على دينهم وعلى ما هم عليه، وإن كان يُقِرُّ في نفسه بأنه خطأ؛ فهل ينفعه إقراره هذا؟ هل ينفعه اعتقاده هذا دون ترك عبادة الأوثان؟ لا ينفعه، لا ينفعه حتى يترك هذه الأوثان.

قال: (وغير ذلك من الأعذار) يعني يقدم لنفسه أعذاراً كثيرة؛ فمثل هذا لا ينفعه عند الله سبحانه وتعالى؛ فالواجب على المرء أن يلتمس رضا الله عز وجل ولو سخط الناس عليه، وألا يتّبع رضا الناس.

طبعاً هذا موجود في الناس وبكثرة للأسف؛ تجد الشخص منهم يُقِرُّ ويعتقد بالحق ويصدِّقه ويعرفه؛ لكنه لا يتبعه ويتركه؛ لماذا؟ لإرضاء الناس، كما حصل من هرقل؛ هرقل عرف الحق وعرف نبوة النبي ﷺ وأخبر أبا سفيان بأنه عرف وفهم كل شيء، وقال: لو أنني أستطيع أن أخلص إلى النبي ﷺ لغسلت عن قدميه ولفعلت وفعلت، أقَرّ؛ لكن في النهاية ما أراد أن يؤمن، امتنع عن الإيمان لأنه خشي على مُلْكه، خشي

على دنياه نسأل الله العافية والسلامة، وهنا كثيرٌ من الناس يقول لك: نعم ما أنتم عليه حق لكنني وجدت آبائي على شيء وأنا أسير على طريقتهم، وقومي يمشون على طريقة لا أستطيع ان أخرج عن طريقتهم؛ كما كان صناديد الكفار يقولون: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ}[1]، هؤلاء ما يهمهم الحق؛ الذي يهمهم هو أن يَبقوا على تراث آبائهم؛ لذلك كان كفار قريش يقولون: سَفَّه أحلامنا وسَبَّ آلهتنا ويريدنا أن نترك دين آباءنا، هذا ما كان يقوله كفار قريش، وإلَّا؛ فهم يعرفون أنه حق من عند الله سبحانه وتعالى.

قال: **(ولم يَدْرِ المِسكينُ أَنَّ غالبَ أئمة الكُفْرِ يَعْرفونَ الحَقَّ)**

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}[2] حتى فرعون وقومه وحتى غيرهم من الصناديد، إبليس ألم يعرف الحق؟ عرف إبليس الحق؛ ولكنه كفر؛ أبى أن ينقاد لأمر الله سبحانه وتعالى واستكبر؛ فكفر، كذلك فرعون وغيرهم من الأمم، عرفوا الحق وتَبيَّن لهم بشكل واضح؛ لكنهم أبوا أن ينقادوا له.

قال: **(ولمْ يَتْرُكوهَ إلَّا لشيءٍ مِنَ الأعْذارِ)**

يعني قدَّموا لأنفسهم أعذاراً، كل واحد يضع لنفس عذراً حتى لا يتّبع الحق، فالعذر الذي تقدمه لنفسك؛ هذا ليس عذراً، لا ينفعك عند الله سبحانه وتعالى.

١- [الزخرف: ٢٢]
٢- [النمل: ١٤]

قال: (كما قال تعالى: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}[1] وغير ذلك من الآيات كقوله: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}[2].

فإنْ عَمِلَ بالتَّوْحيدِ عَمَلاً ظاهِراً، وهو لا يَفْهَمُهُ أَوْ لا يَعْتَقِدُهُ بقَلْبِهِ؛ فهو مُنافِقٌ)

هذا الآن عكس الأول؛ الأول يعلم أنه حق ولكنه لم ينقد له ولم يعمل به وبقي على شركه، وهذا لا ينفعه عند الله سبحانه وتعالى؛ وأما الثاني فأظهر أنه على التوحيد وترك عبادة الأوثان... إلى آخره، لكن لا يعتقد بقلبه؛ هذا منافق.

قال: (وهو شَرٌّ مِنَ الكافِرِ الخالِصِ؛ لقوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}[3])

فهم أسوأ حالاً من الكفار الأصليين؛ لأنهم يخدعون؛ يحاولون خداع المسلمين ويظنون أنهم يخدعون الله سبحانه وتعالى، والله خادعهم.

قال: (وهذه المسألة كبيرة طويلةٌ، تتبيَّن لك إذا تأمَّلتَها في أَلْسِنَةِ النَّاسِ)

ما هي المسألة؟ هي أن الشخص يعتقد الحق ويعرفه؛ لكنه لا ينقاد له ولا يعمل به، فلابد من العمل بالتوحيد وليس فقط مجرد نطق باللسان أو اعتقاد بالقلب؛ لا بد من العمل به، فلا بد أن يجتمع عندك اعتقاد التوحيد ونطق بالتوحيد والعمل بالتوحيد؛ هكذا تكون موحداً، واحذر من التماس الأعذار لنفسك- الأعذار الواهية- احذر من ذلك.

١- [التوبة: ٩]

٢- [البقرة: ١٤٦]

٣- [النساء: ١٤٥]

قال: (وهذه المسألة كبيرةٌ طويلةٌ تتبيَّن لك اذا تأملتها في ألسنة الناس)؛ تجد الناس عندهم أخطاء كبيرة إما في التوحيد أو حتى في طاعة الله سبحانه وتعالى أو في ارتكاب البدع، وتأتي تكلمهم؛ يلتمسون الأعذار لأنفسهم؛ كثير من الناس هكذا، وأمر التوحيد أعظم شيء.

قال: **(تَرى مَنْ يَعْرِفِ الحَقَّ ويترك العَمَلَ به؛ لخوفِ نقصِ دُنيا أو جاهٍ أَوْ مُداراةٍ لأحَدٍ، وترى من يعملُ به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بقلبِهِ؛ فإذا هوَ لا يَعْرِفُهُ.**

ولكنْ عليكَ بِفَهْمِ آيتين مِنْ كتاب الله؛

أُولاهما قوله تعالى: {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}، فإذا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحابَةِ الذين غزوا الرُّومَ معَ رسولِ الله ﷺ كفروا بِسَبَبِ كلمةٍ قالوها على وَجْهِ المَزْحِ واللعِبِ؛ تَبَيَّنَ لكَ أنَّ الذي يَتَكَلَّمُ بالكفرِ أَوْ يَعْمَلُ بهِ، خَوْفاً مِنْ نقصِ مالٍ أو جاهٍ أو مُداراةٍ لأحدٍ؛ أعظمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يمزحُ بها)

طبعاً الذين تكلموا بهذه الكلمة، وجاء فيهم: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} هؤلاء كانوا من المنافقين وليسوا من الصحابة الخيّرين، ولعل قصْد المؤلف هنا ببعض الصحابة أنهم الذين كانوا مع النبي ﷺ وليسوا الصحابة الذين لهم شرف الصحبة، هؤلاء كانوا من المنافقين فيما ذكر أهل التفسير، وقوله: {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ}؛ أي: أظهرتم كفركم، وإن كانوا هم منافقون في الباطن كفار؛ لكن أظهروا كفرهم بهذا العمل الذي عملوه، فهؤلاء قد كفروا بكلمة؛ يعني: أظهروا كفرهم بكلمةٍ يمزحون بها.

قال: (فإذا تحققت من أن هؤلاء كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب؛ تبين لك أنَّ الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مالٍ أو جاهٍ أو مداراة لأحد؛ أعظم ممن يتكلم بكلمةٍ يمزح) يعني هؤلاء تكلموا بألسنتهم كلمة كفر وكفروا بها؛ كفروا بها الكفر الظاهر، ونحن ذكرنا أنهم هم منافقون؛ يعني الكفر الباطن موجود؛ لكن كانوا في ظاهر أمرهم من المؤمنين- من المسلمين- لكن لمّا نطقوا بهذه الكلمة، هذا كفرٌ ظاهر؛ فأظهروا الكفر، وهؤلاء الذين كفروا بهذه الكلمة- التي هي كلمة مزاح- أعظم منهم الذي يكفر جادّاً؛ يكفر كفراً جديّاً يريده بقلبه من أجل خوف فوات شيءٍ من الدنيا من مالٍ أو جاه أو مداراةٍ لأحد؛ لا شكَّ أنَّ هذا كفره أعظم من ذاك.

الشاهد الذي يريده المؤلف من هذا، أن العمل- هذا العمل بالتوحيد- مهم جداً، وأنَّك حتى لو كنت في قلبك موحداً؛ إلا أن عملك شِرْك؛ فلا ينفعك توحيد قلبك.

قال: **(والآية الثانية قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}[١]؛ فلمْ يَعْذُرْ اللهُ مِنْ هؤلاءِ إلَّا مَنْ أُكْرِهَ معَ كَوْنِ قلبِهِ مُطْمَئِناً بالإيمانِ، وأمَّا غيرُ هذا؛ فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إيمانِهِ؛ سواءٌ فَعَلَهُ خَوْفاً أَوْ مُداراةً أو مشحةً بِوَطَنِهِ أو أَهْلِهِ أو عَشيرتِهِ أو مالِهِ أو فعلهُ على وَجْهِ المَزْحِ أو لغيرِ ذلك من الأغراضِ؛ إلا المُكْرَهُ)**

يعني هنا لما قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} لم يعذر بقية أصحاب الأعذار الواهية؛ إنما عذر المُكرَه؛ فلذلك لا تأتي بأعذارٍ واهية وتجعلها حجةً لك على عدم العمل بالتوحيد.

١- [النحل: ١٠٦- ١٠٧]

فقال: (فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أُكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا؛ فقد كفر بعد ايمانه)؛ يعني أعذاره ما نفعته.

قال: **(فالآية تدلُّ على هذا من جهتين؛ الأولى قوله: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ}؛ فلمْ يَسْتَثْنِ اللهُ تعالى إلا المُكْرَه، ومَعْلومٌ أنَّ الإنسان لا يُكْرَهُ إلا على الكلامِ أوِ الفعلِ، وأمَّا عقيدةُ القَلْبِ؛ فلا يُكْرَهُ عليها أحَدٌ)**

يعني ذلك: قال الله سبحانه وتعالى قلبه مطمئنٌ بالإيمان؛ فيبقى الإيمان في القلب مطمئناً، أما أن يقول قولاً أو أن يفعل فعلاً؛ فيمكن أن يكون مكرهاً في هذه الحالة، والإكراه هذا عذرٌ مقبولٌ عند الله سبحانه وتعالى، أمّا العذر بالخوف على دنيا تفوته أو من باب المزاح أو ما شابه؛ فلا؛ هذه أعذار واهية غير مقبولة.

قال: **(والثانيةُ قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} فَصَرَّحَ أَنَّ هذا الكُفْرَ والعذابَ لَمْ يكنْ بِسَبَبِ الاعْتِقادِ أو الجَهْلِ أوْ البُغْضِ للدينِ أوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ، وإنَّما سَبَبُهُ أَنَّ لهُ في ذلك حَظّاً مِنْ حُظوظِ الدُّنيا؛ فآثَرَهُ على الدِّينِ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمدٍ واله وصحبه وسلم)**

إذاً بعض الناس يكفر لأنه يحب الكفر ويعجبه وينشرح قلبه به، وبعض الناس يكفر لأجل الدنيا؛ لمالٍ أو جاهٍ أو رئاسة وغير ذلك، فلا تُقدِّم لنفسك أعذاراً كي لا تعمل بالتوحيد وتقع في الشِّرك؛ هذه الأعذار كلها واهية وباطلة؛ اللهم إلا عذر الاكراه؛ هذا قد عذر الله سبحانه وتعالى به.

والله أعلم. والحمد لله.